دليل عملي متقدم للتحليل البلاغي للقرآن

سورة الملك أنموذجًا

ميشيل كويبرس
Michel Cuypers

ترجمة
د/ زياد فروح

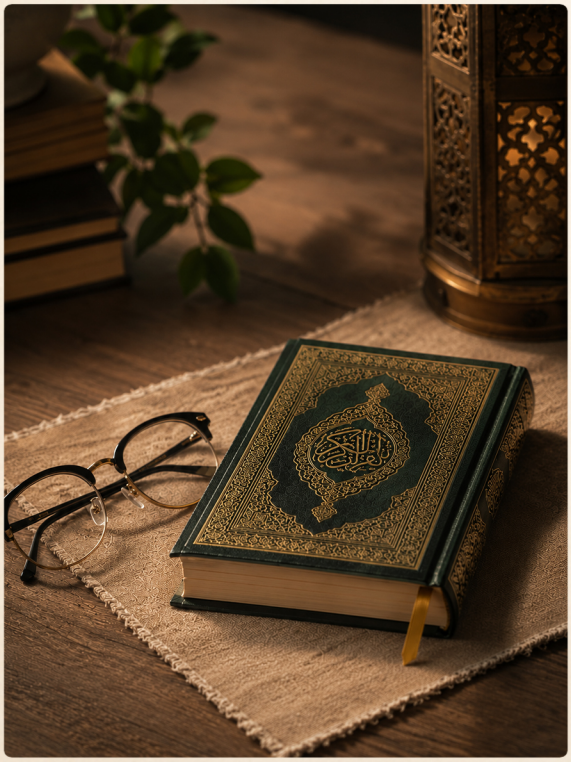

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بميشيل كويبرس:

رجل دين كاثوليكي، من أتباع شارل دو فوكو، عاش في مصر منذ العام ١٩٨٩ كعضو في المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية (IDEO)، وتخصص في الدراسة الأدبية للنصّ القرآني، لا سيما فيما يتعلق بتركيبه وبعلاقاته النصّية مع الأدب المقدّس المتقدم تاريخيًّا.

من أهم أعماله:

- La Composition du Caran. Nazm al-Qur'ân, Paris, Gabalda, 2012.
– في نظم القرآن، وهو مترجم للعربية، ترجمه عدنان المقراني وطارق منزو، وصدر عن دار المشرق، لبنان، ٢٠١٨م.

- Le Festin, une lecture de la sourate al-Mâ'ida, Lethielleux, 2007.
– في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، وهو مترجم للعربية، ترجمه عمرو عبد العاطي صالح، وصدر عن دار المشرق عام ٢٠١٦م.

- Une apocalypse coranique. Lecture des trente-trois dernières sourates du Coran, Gabalda, Paris, 2014, 360 p.
– في نَظْم القرآن؛ قراءة في نَظْم السور الثلاث والثلاثين الأخيرة من القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس، ترجمة: د/ زياد فروح، تعليق: خليل اليماني، مركز تفسير، ١٤٤٤هـ.

مقدمة[1]:

يعتبر الاتجاه التزامني أو الأدبي في دراسة القرآن، والذي يدرس القرآن في كُلّيته ووفق بنيته الخاصّة، أحد أهمّ الاتجاهات على ساحة الدرس الغربي المعاصر للقرآن، وتتنوّع منهجيات هذا الاتجاه ومقارباته، بين الاعتماد على المنهجيات الأدبية العامة مثل الحال مع أنجيليكا نويفرت ونيل روبنسون، أو الاعتماد على منهجيات مخصوصة.

وتحتلّ كتابات ميشيل كويبرس موقعًا خاصًّا في هذا السياق، بسبب تطبيقه منهجًا خاصًّا على القرآن، وهو منهج التحليل البلاغي/ منهج البلاغة الساميّة، هذا المنهج المستمدّ من دراسات الكتاب المقدّس والذي يمثّل قواعد البلاغة التي اكتشفها علماء الكتاب المقدّس من خلال دراستهم للكتاب المقدّس، وقد صاغ رولان مينيه هذه القواعد ورتّبها في صورة منهج متكامل له خطواته ومسالكه. ويرى أرباب هذا المنهج أنهم بإزاء بلاغة جديدة (البلاغة الساميّة) لا تسير وفق ما يعتبرونه بالبلاغة الخطية المعهودة التي تمضي بنمط مقدّمة ثم موضوع فخاتمة، وإنما يترتّب بناء نصوصها وفق الثنائية والتجاور، ولها طرائق في نظم النصّ؛ حيث يأتي النصّ منظومًا وفق النّظْم المتوازي والمعكوس والمحوري، وغير ذلك.

---

(١) كتب المقدّمة وكذلك التعليقات الواردة في نص الترجمة مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي المؤلِّف والمترجم بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات).

يرى كويبرس أنّ القرآن منظوم وفق منطق النصوص الساميّة، وأن نَظمه يتّسق مع قواعد النَّظْم التي يحملها منهج التحليل البلاغي؛ ولهذا يرى أنّ هذا المنهج هو الكفيل ببيان نَظم القرآن الكريم وبيان اتساق هذا النَّظْم بخلاف دعاوى الاستشراق التي تشكّك في اتساق نَظم القرآن وتتهمه عادةً بالتفكّك[(١)].

وفي ضوء صعوبة وتعقّد تطبيق هذا المنهج في استكشاف نَظْم القرآن الكريم، فقد حاول كويبرس في هذه الورقة توضيح هذا التطبيق في شكل خطوات عملية تطبيقية بغية تقريبه للدارِسين، وكان كويبرس قد قام بنفس الأمر قبل، وكتب دليلًا عمليًّا لتطبيق التحليل البلاغي على القرآن من خلال سورة الحاقة، إلا أنه وبسبب ما اعتبره بنية واضحة لهذه السورة، قرّر العودة مرة أخرى لتوضيح منهجه بتطبيقه على سورة ذات بنية أكثر خفاءً -من وجهة نظره- واختلافًا بين المفسِّرين والدارِسين، وهي سورة الملك، ما يمنحه فرصة للتعمّق في بيان التطبيق لهذا المنهج.

---

(١) لمزيد من الفهم والتعرّف على منهج التحليل البلاغي يراجع بعض المواد المترجمة على الموقع:
- البلاغة الساميّة في القرآن، ميشيل كويبرس، ترجمة: خليل محمود اليماني.
- الكتاب المقدّس والقرآن؛ نسق أدبي واحد، ترجمة: عبير عدلي.
- مقارنة بين التحليل البلاغي والنقد التاريخي لجون وانسبرو وغونتر لولينغ، ميشيل كويبرس، ترجمة: خليل محمود اليماني.

وكذلك يراجع كتاب: في نَظْم القرآن: قراءة في نَظْم السور الثلاث والثلاثين الأخيرة من القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، ترجمة: زياد فروح، تعليق: خليل محمود اليماني، مركز تفسير، ١٤٤٤هـ= ٢٠٢٣م. (قسم الترجمات)

ينطوي تحليل كويبرس لسورة الملك على تطبيق تفصيلي لمنهجه ونقاش ضمني لبعض النقد الذي وُجِّه له، ما يجعلها ورقة مفيدة للدارِسين؛ للاطلاع بشكلٍ أكثر قُربًا وتفصيلًا على منهجه.

الدراسة[١][٢]

تمهيد:

لماذا هذا الدليل التعليمي الجديد في حين يوجد سلفًا دليل آخر، متاح على الموقع الإليكتروني (Academia.edu)[٣]، يطّلع عليه الباحثون من جميع أنحاء العالم بانتظام؟ يرجع هذا إلى أن سورة **الحاقة** (٦٩) التي اختِيرت كنموذج لهذا «الدليل» الأول كانت سهلة التحليل، وبالتالي في متناول المبتدئين. في حين أنّ سور القرآن لا تتجلّى بذات البنية التي تتسم بهذه الشفافية، بل إنّ الأمر بعيدٌ كلّ البُعْد عن هذا. لذا بدَا من الملائم تحليل سورة

---

(١) جدير بالنَّظَر أن عنوان هذه المادة، هو:

UN GUIDE AVANCÉ POUR L'ANALYSE RHETORIQUE DU CORAN
L'ÉNIGMATIQUE SOURATE 67, AL-MULK, LA ROYAUTÉ

والترجمة الحرفية للعنوان، هي: (دليل متقدّم للتحليل البلاغي للقرآن؛ سورة الملك الملغِزة نموذجًا)، لكننا آثرنا تعديله للعنوان الحالي، حتى يكون أكثر تعبيرًا عن موضوع اشتغال المادة. (قسم الترجمات)

(٢) ترجم هذه المادة، د. زياد فروح، مدرس بكلية اللغات والترجمة، قسم الدارسات الإسلامية باللغات الأجنبية (شعبة فرنسي)، وله عدد من الترجمات المنشورة، حاصل على جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي.

(3) https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers, Guide pratique pour l'analyse du Coran. L'exemple de la sourate LXIX, "L'Inévitable" a, repris dans *MIDEO* (Mélanges de l' Institut Dominicain d' Études Orientales), le Caire, 2024, 68 pages.

كما توجد نسخة من الدليل باللغة الإنجليزية وأخرى بالعربية على الموقع ذاته.

أخرى حيرت بنيتها -أو بالأحرى غياب بنية ظاهرية لها- أغلب المترجمين والمفسِّرين المعاصرين. ومن ثم سيمكننا من خلاله بيان ***كيف يجب أن يتم التحليل البلاغي عبر محاولات متتالية وافتراضات مؤقتة***، فضلًا عن حركة ***ذهاب وإياب بين المستويات النصّية*** للوصول في النهاية إلى بنية مرضية ومقنعة في مجملها.

يكمن الإغراء والمجازفة الكبرى في الواقع لدى المبتدئين في السعي وراء التقسيمات الكبرى للنصّ بشكلٍ مباشرٍ وبطريقة ذاتية. غير أن التقسيم الدقيق للنصّ يجب أن يراعي بالضرورة مجموعة كاملة من القواعد والخصائص الخاصّة بالبلاغة التي أُطلق عليها؛ لعدم وجود تسمية أفضل، «البلاغة السّاميّة»؛ لأنها اكتشفت من خلال دراسة دؤوبة للكتاب المقدّس العبراني، وحديثًا، للنصّ القرآني العربي - وهما لغتان صنفهما اللغويون بين «اللغات الساميّة» الكبرى (إلى جانب لغات أخرى ذات صِلَة مثل السريانية). فيما يتعلق بالكتاب المقدّس، يعود الفضل في اكتشاف هذه البلاغة إلى ثلاثة من كبار علماء التفسير الإنجليز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهم: روبرت لوث (Lowth Robert) (١٧١٠- ١٧٨٧م)، وجون جيب (John Jeb) (١٧٧٥- ١٨٣٣م)، وتوماس بويز (Thomas Boys) (١٧٩٢- ١٨٨٠م). لكن أعمالهم المبتكرة قد طواها النسيان فيما بعد بسبب الظهور الطاغي للنقد التاريخي في دراسات الكتاب المقدّس في القرن التاسع عشر وحتى اليوم.

وندين بالفضل في إعادة اكتشاف أعمالهم إلى اليسوعي رولان مينيه (Roland Meynet) (١٩٣٩م)، الذي كتب في بداية القرن العشرين عرضًا شاملًا لِمَا سيُعرف فيما بعد «البلاغة الساميّة» في مؤلَّف ضخم بعنوان: (رسالة في البلاغة الكتابية – Traité de rhétorique biblique) (في ٧١٧ صفحة)[١]، وهو المؤلَّف الذي لخّصته في كتابي: (في نظم القرآن – La composition du Du Coran. Naẓm al-Qur‘ān) (١٩٧ صفحة)[٢]؛ ليتناسب مع دراسة القرآن.

وقد وجَد بعضُ قُرّائي الموقَّرين أنّ تحليلي للنصّ القرآني وفقًا للنّظم المحوري (أو ما يُعرف بالإنجليزية بـ«ring composition») فيه نوع من المبالغة. فقد تحوّل الأمر لديّ، على حد قولهم إلى ردّ فعل مسبق لا أساس له من الصحة في النصّ[٣]. وسوف يتمكن قارئ هذا الدليل (المتقدّم) الذي بين

(1) Roland Meynet, Traité de rhétorique biblique, Gabalda, Pendé, France, 2013.

(2) M. Cuypers, La composition du Coran, Naẓm al-Qur’ān, coll. Rhétorique sémitique, Gabalda, 2012.

ملحوظة: تُرجم الكتاب إلى العربية وسوف نحيل الاستشهادات إلى النسخة العربية ليسهل على القارئ العربي الرجوع إليها، وبيان الترجمة العربية كالآتي: في نَظْم القرآن؛ ميشيل كويبرس، ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو، دار المشرق، ٢٠١٨. (المترجم)

(٣) يشير المؤلف هاهنا للنقد الذي وجهه له الباحث الألماني الشهير نيكولاي سيناي، حيث انتقد سيناي اشتغال كويبرس ووصفه بأنه لا أساس له في النص، وذلك في ورقة ترجمناها على الموقع بعنوان: النظم الحَلَقي والمحوري في القرآن: قراءة نقدية في أعمال كويبرس وفارين، نيكولاي سيناي، ترجمة: سعد خضر. (قسم الترجمات)

أيدينا أن يحكم بنفسه. سوف يلاحظ أنه برغم تكرار النَّظْم المحوري بكثرة، فإنه ليس الشكل الأوحد في النصّ القرآني؛ فهناك أشكال أخرى من التوازي تلتقي بالقدر ذاته.

وهذا ما دفعني إلى تقديم إضافة تتعلق بثغرة مثيرة للدهشة بل وغير مفهومة في مجال البحث الحالي حول النصّ القرآني. فمن النادر حقًّا أن نجد اقتباسات أو إشارات إلى أعمال عالمة الأنثروبولوجيا الكبيرة ماري دوجلاس (Mary Doglas) (١٩٢١– ٢٠٠٧م) في كتابها *Thinking in Circles. An Essay on Ring Composition* (2007)) (التفكير وفق المنطق الدائري). ففي مجلد أكسفورد للدراسات القرآنية (٢٠٢٠، ٩١٢ ص) لا نجد إلا إشارة واحدة إلى ماري دوجلاس وكتابها في صفحة ٣٦٩ فيما يتعلق بكتاب ريموند فارين (Raymond Farrin): (Structure and Qur’ anic Interpretation. (A Study of Symmetry and Coherence on Islam’ s Holy Text (بنية القرآن والتفسير: دراسة للتناظر والتماسك في نص الإسلام المقدس)، ولنذكر هنا ما كتبه فارين في مقدمته ص١٤:

فيما يتعلّق بشكلٍ خاصّ بالنّظم المحوري، فقد أفادتْ هذه الدراسة من التحليلات الأدبية التي قامت بها ماري دوجلاس كما عرضتها في كتابها (*Thinking in Circles* (...)). فكما تشير دوجلاس، فإنّ السِّمَة الأكثر بروزًا لدائرةٍ ما هي التوافق بين البداية والنهاية. هذا التوافق يتضمّن بشكلٍ عام تكرار

كلمة أو عبارة ذات معنى مثل اسم العلم؛ كما يجب إضافة إلى ذلك أن يكون هناك رابط موضوعي واضح بين الجانبين [اللذَيْن يؤطّران المركز]. يسمح التوافق بينهما بإغلاق الدائرة وتأكيد الخاتمة. (...) وقد يتوافق القسم المحوري بشكلٍ متكرّر مع بداية ونهاية [النظام]، وهي علامة تدلّ على تماسك قوي ووحدة كبيرة. (...) من جهة أخرى، علاوة على بنية النصّ، يوجّه الشكل التفسير. فتأثير النَّظْم الدائري، كما ترى دوجلاس، «هو إبراز النقطة المحورية. (...) فالمعنى يكمن في المركز»[1].

وفقًا لدوجلاس أيضًا، فقد كان النَّظْم المحوري شكلًا أدبيًّا واسع الانتشار حتى أواخر العصور القديمة، وهو شكل أتقن الكَتبة كلّ تقنياته وقواعده، وكان يمثّل نمطًا فكريًّا محدّدًا. وفي هذا الصدد، تحيل دوجلاس مرارًا في كتابها: (Thinking in Circles)، إلى أعمال اللغوي رومان جاكوبسون (Roman Jacobson). غير أنّ اسم جاكوبسون لم يظهر في (مرجع أكسفورد في

(1) R. Farrin, Structure and Qur'anic Interpretation, 2014, p. xvi: Relating specifically to concentrism, this study benefits from the literary insights of Mary Douglas, as expostulated in Thinking in Circles (...). As Douglas indicates, the most prominent feature of a ring is the correspondence between the beginning and the end. The correspondence usually involves the repetition of a conspicuous word or phrase, such as a proper name; also, there must be a clear thematic connection between the two sections. The correspondence serves to complete the circle and provide closure. (...) The Middle section of the ring then frequently accords with the beginning and the end, a mark of strong cohesion and unity. (...) Furthermore, besides holding thetext together, the form guides interpretation. Indeed the effect of ring composition, according to Douglas, "is to give special emphasis to the pivotal central point. (...) The meaning is in the middle"

الدراسات القرآنية) سوى مرة واحدة عابرة في (ص٨٠٠). كيف يمكن فهم هذا الفصل الحادّ بين مجالات بحثية تتناول الموضوع ذاته؟ ألن يكون من الأجدى بكثير أن يطّلع الباحثون على أبحاث المجالات الأخرى؟ لكن لنُنْهِ الحديث حول هذه النقطة!

سؤال آخر: لماذا وُصف هذا المنهج في تحليل النص بـ«البلاغي»؟ ذلك لأنّ هذا المفهوم يعود في الغرب إلى أطروحة أرسطو بعنوان: (*La Rhétorique*)، والتي تناول في أحد فصولها «ترتيب الخطاب (*taxix*)»، وهو ما يعني ترتيب بنية الأجزاء الخمسة للخطاب الهادفة إلى إقناع الجمهور: الاستهلال، العرض، الحجاج، التفنيد، والخاتمة. وخلاصة القول: يعرض أرسطو كيفية بناء خطاب متماسك وهو ما يتناسب تمامًا مع الهدف من البلاغة الساميّة التي تلجأ بدورها أحيانًا إلى وسائل مختلفة جدًّا عن وسائل البلاغة اليونانية، ولهذا أطلق عليها (الساميّة) لتمييزها بوضوح عن البلاغة (اليونانية).

وقد يندهش القارئ العربي أو المستعرب كذلك من أن البلاغة التي نقصدها لا تتناسب مع ما يسمى في التراث الأدبي العربي بـ(البلاغة) التي تُفهم أساسًا على أنها فنّ تزيين الخطاب عبر (المحسنات البديعية) مثل الاستعارة، والكناية والتعريض والمبالغة وغيرها. بيد أن هذا ليس الهدف المباشر من البلاغة الساميّة التي تسعى إلى اكتشاف (نَظْم الخطاب) أو بعبارة أخرى (بنيته). وهناك، في التراث العربي الأدبي الكلاسيكي، علماء اقتربوا من هذا المفهوم،

فيما أُطلق عليه (علم المناسبات) و(علم النَّظْم)[١]. حيث نجد فيهما بعض الجوانب التي تعلن عمّا سيتطوّر لاحقًا عن طريق الدراسة الحديثة حول (تماسك) النصّ التوراتي والقرآني، مثل التوافق بين أوائل وخواتيم السور، وخواتيم السورة مع أوائل السورة التي تليها[٢].

وحديثًا صدر كتاب جماعي بعنوان: (*The Oxford Handbook of Qur'anic Studies*)[٣]، وقد صدّر فصلًا عن البلاغة الساميّة بعنوان: «*Qur*

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر الملحق في: ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، دار المشرق، ٢٠١٤، ص٤٩٥-٥١٦.

(٢) جدير بالنظر أن بعض المشتغلين بالنظر في منهج التحليل البلاغي في السياق العربي منهم من انتقده واعترض على تسميته بالتحليل البلاغي واقترح له تسمية أخرى، ورأى إمكان الإفادة من هذا المنهج في دراسة نَظْم القرآن وفق شروط معينة. يراجع: دراسة نَظْم القرآن؛ قراءة في المنجز، وآفاق الاشتغال، مع طرح فرضية للنَّظْم القرآني، خليل محمود اليماني، بحث منشور على موقع تفسير. وكذلك هناك مَنْ وجّهوا لهذا المنهج نقودًا جزئية لم تمنعهم من الإفادة منه عمليًّا ودراسة نَظْم القرآن من خلاله. يراجع: منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن؛ دراسة وصفية نقدية، منهج البلاغة الساميّة في دراسة بنية القرآن؛ دراسة تطبيقية على سورة الحجرات، بحثان لمحمد يسلم المجود، منشوران على موقع تفسير، وهناك من الباحثين من أكّدوا على أهمية الإفادة من هذا المنهج في دراسة الوحدة الموضوعية للسور. يراجع: تحديد البنية الشكلية والموضوعية لسورة الحِجْر؛ نقد للمنجز، وقراءة جديدة مقترحة، طارق حجي، بحث منشور على موقع تفسير. (قسم الترجمات)

(3) The Oxford Handbook of Qur'anic Studies, Mustaf Shah and Muhammad Abdel Haleem, ed., Oxford University Press, 2020.

=

anic Syntax ʼ »». من جهة أخرى، قام عالم الإسلاميات الأمريكي ماثياس زاهنيزر (Mathias Zahniser) باقتراح لتسميته «*Discours grammar*». فكما أن هناك علم نحو الكلمة (الصرف)، ونحو الجُمْلة (الإعراب)، يرى كذلك أن هناك (علم نحو الخطاب القرآني)، وهو ما يتوافق تحديدًا مع (البلاغة الساميّة).

وقبل أن نبدأ التحليل التعليمي لسورة المُلك، نذكّر بالسِّمات الأساسية للبلاغة الساميّة وبعض العناصر العملية للمنهج[(١)].

=

[جدير بالنظر أن الكتاب تُرجم إلى العربية تحت عنوان: مرجع أكسفورد في الدراسات القرآنية، وقد ترجمه: حسام صبري، مصطفى الفقي، وصدر في مجلدَيْن عن مركز نهوض للدراسات والبحوث]. (المترجم)

(١) يعدّ هذا المقطع تكرارًا للصفحات: ٢٠- ٢٢ من كتابنا النظري: (La composition du Coran) (في نظم القرآن)، انظر أعلاه، الحاشية رقم ٣، ص٥.

١. عرض ملخص للمنهج

⇦ *الثنائية والتجاور*

وهما سِمَتَان أسلوبيتان جوهريتان تميزان البلاغة الساميّة ولا سيّما بلاغة القرآن: **الثنائية** (حيث تذكر الأشياء في شكل أزواج (في نظم القرآن: ٢٣-٣٣)[١]، **والتجاور** (تتجاور الجُمَل ببساطة دون رابط منطقي محدّد بينها سوى حرف العطف «و» (انظر: في نظم القرآن، ص٢٩- ٣٣) (انظر الحاشية رقم ٢، ص٧).

⇦ *أشكال التناظر الثلاثة*

إن الشكل الأساسي للثنائية هو التناظر، وهو وجه من أوجه النّظم حاضر في كلّ أجزاء القرآن، ويمكن أن يأخذ هذا التناظر ثلاثة أشكال:

التوازي: ويتمثل عندما تترتب ألفاظٌ ما بينها علاقة بنفس الترتيب: أ ب ج/ أ′ ب′ ج′؛

النظم المعكوس: عندما تترتب الألفاظ في ترتيب معكوس «في شكل مرآة» أ ب/ ب′ أ′ (على مستوى الجملة، ونتحدث هنا عن «المقابلة العكسية»؛

(١) «نقصد بالثنائية: أنّ عنصرَيْن لغويين أو معنيين قد وضعَا عمدًا ضمن علاقة داخل النصّ. هنا يبرز القانون الكبير للتناظر الذي يكمن وراء كلّ البلاغة القرآنية». (في نظم القرآن، ص٢٣).

النظم المحوري: عندما يتداخل عنصر مركزي (x) بين وجهي النظم المحوري (أ ب ج/ x/ ج′ ب′ أ′).

ويعدّ شكل النَّظْم الأكثر انتشارًا في القرآن بشكلٍ ملحوظ وعلى جميع مستويات النصّ، هو النظم المحوري (بالإنجليزية: *ring composition*). إلا أنّ محور هذه النُّظُم له أهمية خاصّة في البلاغة الساميّة: فهو غالبًا مفتاح تأويل جملة النصّ الذي هو محوره. فقد يكون *سؤالًا*، *جملةً*، *استشهادًا أو مَثَلًا*: شيء ما يستدعي التفكير واتخاذ موقف من جانب القارئ أو المستمع.

⇦ ***المستويات النصية***

تتواجد هذه الأشكال الثلاثة من النّظم في *مستويات النصّ* المختلفة: فعلى المستويات الدنيا للنّظم، يمكن أن يتضمن *الفرع* ثلاثة مفاصل (والتي تتوافق بشكلٍ عام مع عدد مماثل من العبارات[1] التي يمكن تمييزها عن طريق وجود فعل) بحسب أحد هذه الأشكال من النّظم أو الآخر، لكن لا يوجد أبدًا أكثر من هذا العدد؛ وفي المستويات الأعلى مباشرةً، سوف يتضمّن *القسم* بالطريقة ذاتها فرعين أو ثلاثة؛ كذلك يتضمّن الجزء قسمين أو ثلاثة، وهكذا دواليك بالنسبة للمستويات التالية المسماة: *المقطع*، *السلسلة*، *الشعبة*، *الكتاب*، ويمكن لكلّ واحد من هذه المستويات أن يتضمّن عددًا من الوحدات غير المحدّدة من

(١) «مجموعة من العناصر اللغوية أو الكلمات التي تتابع في اتجاه محدّد».

مستويات النصّ الأدنى منه مباشرة. إذا أخذنا في الاعتبار إمكانية وجود *أجزاء فرعية، سلاسل فرعية أو شعب فرعية*، فإن نصًّا طويلًا مثل سورة المائدة (٥) يمكن أن يتضمّن حتى عشرة مستويات نصية[١]!

⇦ *مؤشرات النّظم*

ما المؤشرات أو العلامات التي تسمح بتتبّع شكل من أشكال التناظر؟ قد يكون مجرّدَ تكرارٍ لكلمةٍ ما، تماثلًا في المعنى الضيق أو الواسع، تضادًّا، سجعًا، جناسًا تامًّا (أو جناسًا جزئيًّا)، نفس التركيب النحوي: كأنْ يكونا فعلَيْ أمرٍ على سبيل المثال، أو جملتين ذواتي بنية نحوية متطابقة؛ على سبيل المثال، سؤالين أو كذلك أداة متطابقة في بداية كلّ جملة (إنْ، إنَّ، فَـ، ثمَّ، كلا).

عندما تتوافق أغلب عناصر التناظر فإنّنا نتحدث عن **تناظر كلي**. لكن غالبًا ما تتوافق بعض العناصر فقط: وفي هذه الحالة يكون لدينا **تناظر جزئي**.

تظهر مؤشرات التناظر الجزئي إمّا في بداية الوحدات المتوافقة (العناصر البدئية)، أو في نهايتها (العناصر النهائية)، أو في الوسط (العناصر المركزية)، وقد تظهر في بداية ونهاية وحدة نصّية تحدّها (عناصر طرفية؛ وهو التضمين الكلاسيكي التوراتي [الكتابي])، أو كذلك في نهاية وحدة وبداية الوحدة التي تليها للربط بينها (عناصر وصلية، وهو ما يطلق عليه علماء الكتاب المقدّس «كلمة الوصل»).

---

(١) انظر: في نظم سورة المائدة، انظر أعلاه: حاشية رقم ١، ص٩.

⇦ ***قوانين لوند:***

يجدر بنا أن نضيف لهذه اللمحة الإجمالية المتعلّقة بمنهج التحليل البلاغي، بضعة قوانين أو طرق تتعلّق ببنية النصّ وهي قوانين سوف نرى لاحقًا تطبيقاتها على سورة «**الملك**»[(١)].

- القانون الأول:

يكون المركز دائمًا نقطة تحول (turning *point*). ويتألف المركز بشكل عام من سطر حتى أربعة أسطر.

- القانون الثاني:

يتضمن المركز في أغلب الأحيان تغييرًا في المسار الفكري وإدخالًا لفكرة تقابلية. ثم يعود المسار الأول للظهور ويستمر حتى اكتمال المنظومة. ونظرًا لصعوبة إيجاد تعبير أفضل سنطلق هذه التسمية: قانون التغيير عند المركز.

---

(١) وقد وضع نظريتها عالم الكتاب المقدّس الأمريكي نيل لوند (Nils W. Lund)، الذي نشر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي نتائج تحليلاته لنصوص من العهدَيْن القديم والجديد. ونحن نعيد هنا تقديم أهم تلك النتائج وفقًا للترجمة التي راجعها رولاند مينيه (R. Meynet) مراجعة طفيفة في كتاب (التحليل البلاغي) (L'Analyse rhétorique)، ص١٤٦- ١٤٧. أمّا النصّ الأصلي فيوجد في كتاب نيل لوند (Chiasmus in the New Testament)، ص٤٠- ٤١.

- **القانون الثالث:**

تُوزَّع الأفكار المتماثلة في الغالب بحيث تظهر عند الأطراف وعند المركز ولا تظهر مطلقًا في أيّ مكان آخر في المنظومة.

- **القانون الرابع:**

في حالاتٍ كثيرة تظهر الأفكار عند مركز منظومةٍ ما وعند أطراف منظومة مناظرة لها، حيث صُمّمت بنية المنظومة الثانية بطبيعة الحال لتكون متماثلة مع المنظومة الأولى، وسنطلق على هذه السمة قانون الانتقال من المركز إلى الأطراف.

- **القانون الخامس:**

تميل بعض العناصر بوضوح إلى الدوران في فلك مواضع معينة داخل منظومة بعينها؛ كأسماء الله في سفر المزامير، والاقتباسات التي تحتلّ موضع المركز في العهد الجديد[١].

كما يتبيّن من هذا العرض الوجيز للمنهج، فإنّ أصالة البلاغة الساميّة لا تكمن في استخدام التوازي أو المقابلة العكسية، أو حتى النَّظْم الدائري هنا أو هناك؛ فهي أشكال بلاغية يمكن العثور عليها بالتأكيد بشكلٍ متفرّق أو متكرّر

(١) تظهر أسماء الله الحسنى في القرآن كذلك بطريقة مميزة في الأطراف وفي مركز المنظومة.

نوعًا ما في جميع الآداب. بل إنّ ما يميز البلاغة الساميّة هو الاستخدام المنهجي الصارم لأشكال النّظم تلك على جميع مستويات النصّ. ومن ثم، فإنّ البلاغة الساميّة تشكّل بالفعل (نظامًا). ولهذا السبب، ينبغي في العمل التحليلي دفع تطبيق هذا النظام إلى أقصى حدّ ممكن، بما أنه نظام قائم بذاته؛ ولأنه يقوم بهيكلة النصّ بأكمله، في كليته كما في تفاصيله. وقد رأينا أعلاه كيف وصف (ماثياس زاهنيزر) هذا النظام بأنه «نحو الخطاب». فكما يجب على أيّ خطاب أن يحترم دائمًا نحو اللغة التي كُتِب أو نطق بها، فإنّ الخطاب القرآني يحترم أيضًا قواعد محدّدة كان كُتّاب العالم الساميّ في الشرق الأوسط ينظمون نصوصهم وفقًا لها.

⇦ *اللغة والترجمة في التحليل*

غنيّ عن القول أنّ التحليل البلاغي يجب أن ينطلق بالضرورة، في المقام الأول، من النصّ العربي نفسه. وذلك لعدّة أسباب:

١. إنّ الترجمات إلى اللّغات الحديثة متعدّدة ومتنوّعة، ولا تتطابق بالضرورة فيما بينها.

٢. إنّ الكثير من لطائف ودقائق اللغة العربية تضيع في الترجمات.

٣. غالبًا ما تتطلّب الكلمة الواحدة في العربية عدّة كلمات في الترجمة (وهذا هو السبب في أن النصّ المكتوب بالخطّ العربي يكون أقصر منه في لغاتنا الغربية.

وسوف نعتمد هنا النسخة العربية الشهيرة الأكثر انتشارًا للمصحف الشريف، والمعروفة بـ(مصحف القاهرة)، والتي صدرت بأمر من الملك فؤاد الأول عام ١٩٢٤.

وبما أنّ تحليلنا موجّه رُغم كلّ شيء إلى قرّاء ناطقين بالفرنسية، فسنقوم أيضًا، بالتوازي، بدراسة النصّ في ترجمته الفرنسية، بحيث تكون أقرب ما يمكن إلى الحرفية، مستلهمين ذلك من الترجمة الكلاسيكية لـ(ريجيس بلاشير)[١] (١٩٤٧، والتي أُعيد طبعها بانتظام)، مع تعديلها أحيانًا لتلتصق أكثر بالنصّ العربي الأصلي[٢].

(١) وردَ في النصّ الفرنسي (René Blachère) وهو سهو من المؤلف فالمقصود هو Régis Blachère. (المترجم)

(٢) يلي هذا الجزءَ في النصّ الفرنسي عنوانٌ خاصّ بالنقحرة (Translittération) وقد تجاوزناه في الترجمة لعدم أهميته للقارئ العربي. (المترجم)

٤. مسرد المصطلحات الفنية[١]

١. مستويات النص

المستويات «الدنيا» (أو غير المستقلة):

العنصر: يتوافق العنصر بصفة عامة مع مفردة «lexème» (جذر) أو مع كلمة تنتمي إلى المفردات المعجمية الآتية: اسم، صفة، فعل، ظرف.

المفصل: المفصل عبارة عن وحدة دلالية أو مجموعة من العناصر المرتبطة فيما بينها دلاليًّا بشكلٍ متين. ويعتبر «المفصل» أصغر أشكال الوحدة البلاغية ويمكن أن يشتمل المفصل على عنصر واحد فقط.

الفرع يتكون الفرع من مفصل واحد أو مفصلين أو ثلاثة مفاصل؛ والفروع إمّا «أحادية المفصل» أو «ثنائية المفاصل» أو «ثلاثية المفاصل».

القسم يتكون القسم من فرع واحد أو فرعين أو ثلاثة أفرع.

الجزء يتكون الجزء من قسم واحد أو قسمين أو ثلاثة أقسام.

المستويات «العليا» (أو المستقلة)

تتكون جميعها من وحدة واحدة أو أكثر من المستوى السابق عليها

المقطع: وهو المقابل لمصطلح «péricope» في تفسير الكتاب المقدّس. ويتكون المقطع من جزء واحد أو عدّة أجزاء.

السلسلة: تتكون السلسلة من مقطع واحد أو عدة مقاطع.

الشعبة: تتكون الشعبة من سلسلة واحدة أو عدة سلاسل.

---

(١) تستند هذه الصفحة جزئيًّا إلى ورقة منفصلة (ملحق) من كتاب (*Traité de rhétorique biblique*) لـ(رولاند مينيه)، انظر الحاشية رقم ١، ص٧.

٢. أشكال النظم

تماثل كلّي:

البناء المتوازي: أ ب ج // أ′ ب′ ج′

البناء المعكوس أ ب ج // ج′ ب′ أ′.

البناء المحوري أ ب ج | × | ج′ ب′ أ′

التماثل الجزئي:

العناصر البدئية وهي عناصر أو وحدات دلالية متطابقة أو متشابهة تميز بداية الوحدات النصّية المتماثلة؛ وتوافق تكرار الصدارة في البلاغة القديمة.

العناصر النهائية هي عناصر أو وحدات دلالية متطابقة أو متشابهة تميز نهاية الوحدات النصّية المتماثلة؛ وهي المقابل للتجنيس (تكرار العبارات الختامية) في البلاغة القديمة.

العناصر الطرفية هي عناصر أو وحدات دلالية متطابقة أو متشابهة تميز أطراف وحدة نصية؛ وهي مقابل (التضمين) في البلاغة القديمة.

العناصر الوصلية هي عناصر أو وحدات دلالية متطابقة أو متشابهة تميز نهاية وحدة نصّية وبداية وحدة نصّية متماثلة معها. وهي مقابل (كلمة الوصل) أو (كلمة الحبك) في التفسير الكلاسيكي.

العناصر المركزية وهي عناصر أو وحدات دلالية متطابقة أو متشابهة تميز مركزي وحدتين نصّيتين متماثلتين.

لمعرفة معاني الكلمات العربية ووظيفتها النحوية، وللحصول على ترجمة إنجليزية جيدة، يمكن الاستعانة وبشكلٍ مفيدٍ بموقع الإنترنت: (مدونة اللغة العربية القرآنية) (Quranic Arabic Corpus)، الصادر عن جامعة ليدز ببريطانيا (https://corpus.quran.com/wordbyword.jsp). إنه أداة عمل لا غنى عنها، حتى وإن كانت الكتابة باللغة الفرنسية. والترجمة الإنجليزية المقترحة في هذا الموقع تحمل عنوان: (*Sahih International*) ويُرمز لها بـ(*S.I*)، كما يقترح الموقع أيضًا ترجمات إنجليزية أخرى معتمدة.

وكما سبقت الإشارة أعلاه، فإنّ المصطلحات التقنية للتحليل ستتبعها علامة (CC متبوعة برقم الصفحة)، وهي إحالة إلى صفحة من كتاب (في نظم القرآن) (La Composition du Coran) الذي سيتوجب على القارئ المبتدئ الرجوع إليه.

ستُستخدم هذه الخطوات وهذه المصطلحات لتحليل أيّ سورة كانت، ولكنها تُطبق في كلّ مرة بطريقة مبتكرة. فالبلاغة الساميّة ليست شِعْرًا يخضع لقواعد صارمة، مثل السوناتا في التراث الشعري الغربي[(١)]؛ كما أنها ليست شِعْرًا حُرًّا، مثل الأشعار الحديثة؛ بل هي بلاغة «تُنَظِّم» النصّ وفق قواعد دقيقة، وإن كانت تُطبق في كلّ سورة بشكلٍ نوعي وخاصّ. فهي -إذن- *منهج يجمع بين الصرامة والمرونة في آنٍ واحد.*

(١) السوناتا شكل شِعري غربي له شهرته وعراقته وله بناء هيكلي وقوالب محدّدة صارمة يلتزمها الشاعر. (قسم الترجمات)

⇦ ***البنود***

يتم التحليل بناء على عدّة بنود، حيث نُورِد أولًا «النصّ» المكوّن من آية أو عدّة آيات يربط بينها معنى، تليها إذا اقتضت الضرورة أو الحاجة «قضايا خاصّة بمفردات اللغة»، ثم «النَّظْم».

وعند الاقتضاء، يتبع ذلك بند «التناصّ» الذي يقترح مقارنة بين الآيات موضوع الدراسة ونصوص أخرى، يُطلق على بعضها: (التناص الداخلي) (intratextuels)؛ لكونها توجد في آيات أخرى من القرآن، وعلى بعضها الآخر: (تناص خارجي)، ويطلق عليه كذلك: «سياق تناص النصوص المقدّسة» (intertextuels)؛ لكونها خارجية وسابقة للقرآن، لكنها تشترك معه في أوجه تشابه، وهي غالبًا استشهادات من الكتاب المقدّس (سنرى عدّة أمثلة منها في سورة الملك) أو من الأناجيل المنحولة.

إنّ استحضار (التناص) يجد تبريره في إطار التحليل البلاغي للقرآن، ما دام أنّ هذَيْن المسلكَيْن يتكاملان في دراسة سياقية للنصّ المدروس. فالسياق الأدبي الأكثر مباشرة لنصٍّ ما يكمن بالتأكيد في البنية البلاغية التي يشكّل النصّ جزءًا منها. بيد أن مستويات (التناص الداخلي) و(التناص الخارجي مع النصوص المقدسة) تمثّل هي الأخرى سياقًا أدبيًّا أكثر اتساعًا، من شأنه أن يغني معنى النصّ المدروس ويمنحه عمقًا تاريخيًّا معينًا[١].

(١) للمزيد حول «السياقية» يرجى مطالعة مقالي بعنوان: « Pour une exégèse contextuelle du Coran»، Islamochristiana 33، روما، ٢٠٠٧، ص٢٣- ٤٩.

وقد يتعجب بعضهم من عدم اللّجوء المنهجي إلى الأحاديث (الأقوال المنسوبة للنبي محمد، بحسب التراث) في التحليلات، إلا في حالات نادرة. والسبب في ذلك هو أنّ كتب جوامع الأحاديث، وفقًا للمنهج التاريخي الحديث، كلّها لاحقة لظهور القرآن، كما أن صحّتها تظلّ محلّ تساؤل؛ والأمر نفسه ينطبق على «السيرة» (سيرة النبي محمد، حسب التراث)[١]. ومع ذلك، فإنّ أقدم التفاسير الكلاسيكية؛ مثل تفسير الطبري (٨٣٩-٩٢٣م)، تعتمد كليًّا على هذه (المصادر) لتفسير (أسباب النزول). إنّ هذا المنهج يكشف لنا -أساسًا- كيف كان القرآن يُقرأ في العصور الأولى، بينما تكشف البلاغة الساميّة كيف صِيغ القرآن كتابةً. وهذا يعني أنّ دراسة بنية النصّ (الساميّة) ليست غريبة فعليًّا عن الأبحاث الحالية حول تاريخ القرآن، بل هي تمثل جانبًا منها، من زاوية تاريخ تدوينه[٢].

---

(١) يتجاهل كويبرس كلّ ما هو خارج عن النصّ القرآني، سواء الحديث أو مرويات النزول، باعتبار ذلك لاحقًا على النصّ، وبالتالي ليس له مصداقية تاريخية، ما يجعل استحضار في التفسير مشوّشًا على فهم النصّ نفسه من وجهة نظره، وهذا الرفض المبدئي هو رفض مجاني، فضلًا عن اتّسامه بالتحجّر؛ إذْ يتجاهل نتائج الدراسات الغربية التي قدّمها أمثال غريغور شولر وهارالد موتسكي لعملية نقل المرويات في التاريخ الإسلامي المبكّر، والعلاقة بين الشفاهة والتدوين في صدر الإسلام، كذلك فإنه يتجاهل طبيعة التفسير وحاجته للحديث النبوي ومرويات النزول وغير ذلك مما لا غِنَى عنه في تقرير المعنى. (قسم الترجمات)

(٢) بالفعل اتّجه بعض الدارسين للاعتماد على المناهج البنيوية التزامنية ومنها أفكار لوند وفكرة النَّظْم المحوري في البحث في تاريخ تشكّل القرآن، نذكر على سبيل المثال ريموند فارين الذي درج على =

سيكون بدء تحليل السورة أمرًا صعبًا إلى حَدّ ما بالنسبة للمتعلّم، حيث سيتعيّن عليه استيعاب الكثير من المصطلحات الفنية والقواعد المختلفة. لكن لا داعي للقلق؛ ففي التحليلات الآتية سيجد كلَّ هذه القواعد والمصطلحات التي ستصبح مألوفة له تدريجيًّا من خلال التكرار.

=

هذا في بعض بحوثه الأخيرة. راجع: هل تأخر ترتيب القرآن لِما بعد عهد النبوّة؟ أدلة جديدة على وحدة مصدر ترتيب القرآن، وفرضية جديدة حول تدوين القرآن، مصطفى هندي، موقع تفسير. (قسم الترجمات)

تقديم سورة الملك

قبل البدء في تحليل النصّ، يجب عليك أولًا الاطلاع على السورة، عن طريق القراءة المتأنية والمتكررة[١] باللغة العربية و/ أو أي ترجمة جيدة: مثل ريجيس بلاشير، دينيس ماسون، محمد حميد الله، جاك بيرك، للغة الفرنسية؛ وتلك الواردة في موقع: (https://corpus.quran.com/wordbyword.jsp) للغة الإنجليزية (Sahih International, Pickthall, Yusuf Ali, Arberry، إلخ). وسوف نستخدم بشكلٍ مبدئي في التحليل البلاغي للنصّ، كما أوردنا سابقًا، ترجمة بلاشير مع بعض التعديلات اللازمة لجعل الترجمة أكثر حَرْفية «ملتصقة» بالعربية. وعليه، فما نقدّمه هنا ليس (ترجمة جديدة) يُفترض أنها أفضل من غيرها، بل هي ترجمة تعليمية طُوِّعت لتلبّي احتياجات التحليل.

١. *النص العربي*

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ

(١) كان عالم اللغة والباحث في الدراسات الهلنستية (جان بولاك) (Jean Bollack) (١٩٢٣– ٢٠١٢)، يتحدّث عن «القراءة الملحة». راجع كتاب: «La lecture insistante, Autour de Jean Bollack»، منشورات ألبان ميشيل، باريس ٢٠١١.

فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ

الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠) ﴾.

٢. *بنية السورة بحسب بعض المفسِّرين المحدثين*

تشتهر بنية نظم سورة الملك (٦٧) بشكل عام بأنها غامضة. ففي كتاب (قرآن المؤرخين) (Le Coran des Historiens)، المجلد ٢، الجزء الثاني، كتب عنها باول نوينكيرشن (Paul Neuenkirchen)[(١)]:

«تتضمن هذه السورة عشر آيات «بركة» (الآيات: ١ – ٥، و١٣ – ١٧) ثم يتعارض بعد ذلك بشكلٍ تقليدي وعيد بعذاب النار للكافرين (الآيات: ٦ – ١١، ٢٧) ومثوبة المؤمنين (الآية ١٢). تشمل السورة علاوة على ذلك مقطعًا مركبًا يسيطر عليه سياق لغوي جدلي (الآيات: ١٨ – ٣٠) (ص١٩٠٩).

(1) Mohammad Ali Amir-Moezzi & Guillaume Dye, Le Coran des historiens, 3 vol., Paris, Cerf, 2019.

لم يعلق الكثير من العلماء على نَظْم هذه السورة (انظر: Nöldeke et Schwally, Geschichte, vol. 1, p. 133 et Blachère, Coran, p. 605)، معتبرين أنها كُتبت دفعة واحدة. ومع ذلك، فإنّ جُملة الآيات ١٨ إلى ١٩ (والتي يجب إضافة الآية ٢٢ إليها) تعدّ بالتأكيد من قبيل «الإقحام» (Blachère, Coran, p. 607، انظر كذلك: ملاحظات ...Bell)، ويمكن اعتبار القسم الأخير من السورة والذي تختلف فاصلته ويقدّم مجموعة من الأوامر التي تبدأ بالفعل «قل!» (الآيات: ٢٣- ٣٠) على أنه جزء مستقل (انظر: ص١٩١٠)».

ومن بين المفسِّرين العرب القلائل الذين اقترحوا تقسيم السورة إلى وحدات منفصلة، يمكن الإشارة إلى (سعيد حوى) (١٩٣٥- ١٩٨٩)، مؤلّف تفسير (الأساس في التفسير)[١]. فهو يقسمها إلى فِقرتين (الآيات: ١- ١٤ و١٥- ٣٠)، ثم يقسم الفقرة الثانية إلى مقدمة (الآية ١٥)، يليها جزآن: (١٦- ٢٢) و(٢٣- ٣٠). وعلى الرغم من أهمية هذا التقسيم، إلا أنه ليس التقسيم الذي سنعتمده في دراستنا هذه.

أمّا (سيد قطب) (١٩٠٦- ١٩٦٦)، فوفقًا للترجمة الإنجليزية لتفسيره الشهير (في ظلال القرآن) In the Shade of the Quran، المجلدات: ١٥-

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام ١٩٩٠.

١٦- ١٧، ص١٢٨)، يرى أن الآيتين الأوليين تشكّلان وحدة متماسكة، في حين أنّ ما يليهما لا يعرض أجزاءً [«passages» في الإنجليزية] يمكن تمييزها بوضوح (تم تمييز موضع الشاهد من قبلنا):

«وحقائق السورة وإيحاءاتها تتوالى في السياق، وتتدفق بلا توقف، مفسّرة مدلول المطلع المجمل الشامل، مما يصعب معه تقسيمها إلى مقاطع! ويستحسن معه استعراضها في سياقها بالتفصيل»[١].

وقد لخص (محمد أسد) في تفسيره للقرآن باللغة الإنجليزية بعنوان: «The Message of the Qur’ an» رسالة السورة كما يأتي:

«تعدّ الفكرة الجوهرية التي تتخلّل هذه السورة بأكملها هي عجز الإنسان عن إدراك أسرار الكون بمعارفه الأرضية، وبالتالي، تبعيته المطلقة للهداية الربانية عن طريق الوحي»[٢].

وقد أشار جاك بيرك في الترجمة الفرنسية للقرآن إلى ملاحظة أسلوبية دقيقة سنرى دورها البنيوي المهم في نَظْم السورة[٣]:

---

(١) أحال المترجم الاستشهاد إلى النسخة العربية وبيانها: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، الطبعة الشرعية ٣٢، ٢٠٠٣م، ١٤٢٣هـ، ص٣٦٣١.

(2) “The fundamental idea running through the whole of this surah is man’ s inability ever to encompass the mysteries of the universe with his earthbound knowledge, and, hence, his utter dependence on guidance through divine revelation.” www.islamicbulletin.org The Message of the Quran, p. 1190.

(3) J. Berque, Le Coran, Albin Michel, Paris, 1995, p. 624.

«يذهب الاستشراق إلى أنّ السورة تعود إلى الفترة المكية الثانية. وإنّ تغيّر الفاصلة، من الآية ٢٢ وحتى نهاية السورة، يدفع إلى الاعتقاد بأنّنا أمام تمفصلٍ للنصّ. وبالنظر في التفاصيل، *نلاحظ تكرار بنية معينة للآية، وهي أنها تنتهي بجملة اعتراضية وجيزة، تستهل أحيانًا المقطع التالي: ومن هنا ينشأ إيقاع يبدو كأنه متكسّر مع كثرة ظاهرة في التضمين (الارتباط اللفظي والمعنوي بين الآيات)*». (تم تمييز موضع الشاهد من قبلنا).

بناءً على ما سبق، سنحاول خوض هذا التحدِّي عبر إظهار كيف أن آيات السورة الثلاثين تخضع بالفعل لقواعد البلاغة الساميّة، مما يمنحها تماسكًا ومعنى. وسنستحضر في أذهاننا بشكلٍ خاصّ الملاحظات الدقيقة لكلٍّ من (سيد قطب) و(جاك بيرك)، والتي ستتقاطع مع بعض أهمّ استنتاجاتنا الجوهرية.

على الرغم من تعقيد بنيتها، تحظى هذه السورة بمكانة رفيعة في التراث الإسلامي. ويُروى عن (عبد الله بن مسعود)، أحد صحابة النبي (توفي عام ٦٥٠م)، أنه قال: «من قرأ سورة (تبارك الذي بيده الملك) كلّ ليلة منعه الله ﷻ بها من عذاب القبر». وبالفعل، تتناول السورة بشكلٍ أساسي نجاة أولئك الذين آمنوا بإنذار النبيّ، وهلاك أولئك الذين كذّبوا بإنذاره.

بنية السورة

تكشف قراءة متأنية يسيرة للسورة تقسيمًا أوّليًّا أساسيًّا للنصّ إلى وحدتين سوف نسميهما «سلاسل» (١- ٢٢ و٢٣- ٣٠). تختلف في الواقع فاصلة السلسلة الثانية (ـين، ـيم، أو ـون) عن فاصلة السلسلة الأولى (ـير أو ـور)، كما يختلف أسلوبها الذي يكرّر الأمر «قُل» الذي يخاطب الله به نبيّه (دون تسميته) في بداية هذه الآيات. ولنبدأ بتحليل السلسلة الأولى.

أولًا: السلسلة الأولى (١- ٢٢)

الآيتان ١ - ٢: بركة استهلالية لله القدير خالق كلّ شيء.

قضايا خاصة بمفردات اللغة

قبل أن نشرع في التحليل، يجب التأكد من معنى الكلمات وتركيبتها النحوية.

فيما يتعلق باسم السورة (الملك) يشير بلاشير إلى ما يأتي: «أُخِذ اسم السورة من الآية ١ [الملك]. وهناك أسماء أخرى قديمة، أُخذت من نفس الآية: (تبارك)؛ وهناك اسم آخر أقلّ شيوعًا ومتأخّر في الظهور وهو (الواقية) أو (المنجية)». وتتوافق هذه الأسماء بشكلٍ أفضل مع المعنى العام للسورة من اسم (الملك) والنُّسَخ الأخرى التي أشرنا إليها سابقًا في بداية تحليلنا.

تشتق كلمة (الملك) من الجذر (م ل ك) بمعنى (يملك، يسيطر، يتحكّم، يتملّك، يمارس سُلطة)، وتُترجم بشكلٍ متنوّع بحسب المترجم؛ فالمترجمون الفرنكفونيون يترجمونها: «*La Royauté*» (بلاشير، ماسون، بيرك وحميد الله)، « La Souveraineté» (شوراكي)، (L' Empire) (كازيمرسكي)؛ وبحسب المترجمين الإنجليز: (Dominion) (*Sahih International*، يوسف عليّ)، (Control) (محمد عبد الحليم)، (Sovereignty) (محمد بكتال)، (Kingdom) (محمد حبيب شاكر، آرثر أربري). وتبعًا لبلاشير سنستخدم (La Royauté). ويفرق قاموس لاروس (فرنسي – عربي) بين «مِلك» بمعنى (اختصاص، ملكية، تملك- وهو المعنى المستخدم اليوم في العربية الدارجة)، وبين «مُلك» بمعنى (سلطة، مملكة، ملكوت، سيادة).

وقد وردت الكلمة في إنجيل متّى (إصحاح ٦، آية ١٠) باليونانية «βασιλεία» (basileia) وباللاتينية باللفظ (regnum). تستخدم الكلمة باستمرار بواسطة عيسى في الأناجيل الأربعة للإشارة إلى «البشارة» التي جاء بها للبشرية: ملكوت الله (*basileia theou*)؛ وهي ترجمة التركيبة الآرامية التي استخدمها عيسى: (*malkuta di 'elaha*)[1].

(1) José Antonio Pagola, Jésus. Approche historique, Cerf, Paris, 2012, p. 102, n. 1.

النظم

تمثّل الآيتان (١، ٢) بركة استهلالية للسورة. وتمثّلان وحدة دلالية مختلفة عن الآيات التالية التي تستهلّ موضوعًا جديدًا: الخلق البديع للسماوات السبع. لنشرع إذًا في تحليل النّظم (أو البنية) الداخلية للآيتين الأوليين.

الخطوة الأولى

لنشرع في تقسيم هذا النصّ الصغير بشكل رأسي بالعربية والإنجليزية بحسب مفاصله (في نظم القرآن، ص: ٣٧- ٤٣)، وهي الوحدات الأساسية للتحليل البلاغي (لا سيّما العربية) بعد العناصر. فإذا ما شبّهنا النصّ بعمارة مبنًى ما، فيمكننا اعتبار العناصر بمثابة اللَّبِنات التي تشكّل الحوائط، والمفاصل بمثابة الحوائط التي تشكّل الغرفة.

(١) [أ] تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

[ب] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) فاصلة (ـير)

(٢) [أ] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

[ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

[ج] وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) فاصلة (ـور)

المفصل هو بشكلٍ عامّ عبارة قصيرة أو «وحدة دلالية» مكوّنة من عدّة عناصر أو كلمات (في نظم القرآن، ص٣٧)[١] مرتبطة نحويًّا فيما بينها وتؤدي معنى معيّن، مثل «مجموعة من التراكيب الصرفية أو الكلمات التي تتوالى لتعطي معنى محددًا».

ويمكننا في الغالب التعرّف على المفصل من خلال وجود فعل، وهو نواة الجملة[٢]. ومع ذلك، فمن المعروف أن فعل (الكينونة) في صيغة الحاضر لا يُكتب في اللغة العربية؛ وهذا هو حال ثلاثة من المفاصل الخمسة المذكورة أعلاه (١أ، ١ب، ٢ج). ففعل الكينونة يظلّ إذن مستترًا؛ ولهذا السبب، نضعه أحيانًا بين قوسين (est) في الترجمات. وفي النحو العربي، تُسمى الجملة التي لا تحتوي على فعل (جملة اسمية)؛ وهي تختلف عن (الجملة الفعلية) التي تحتوي على فعل.

(١) قد يحدث أحيانًا ألا يحتوي المفصل إلا على عنصر واحد كما في المفصل ١٠١ من سورة (القارعة) (في نظم القرآن، ص٣٣).

(٢) «العبارة هي مجموعة من الكلمات التي تدور حول نواة هي الفعل، ويكون فاعله ظاهرًا أو مستترًا. وبناءً عليه، تتضمّن الجملة عددًا من العبارات بقدر ما يوجد فيها من أفعال فاعلها ظاهر أو مستتر. وإذا لم تشتمل الجملة إلا على فعل واحد، قيل إنها جملة بسيطة». انظر:
https://www.cap-concours.fr/donnees/secteur-socio-educatif/secteur-socio-educatif/reviser-et-sentrainer/analyser-la-phrase-complexe-cc_fra_21

تنبيه: *لا يجب الخلط بين المفصل والآية إلا إذا كانت الآية لا تتضمّن سوى مفصل واحد.* يمكن للآية أن تتضمّن عدّة مفاصل (بشكلٍ عام اثنين أو ثلاثة) بحسب عدد الأفعال (الظاهرة أو المستترة) التي تحتويها. يمكن للمفصل أن يتضمّن فعلين إذا تطلّب معنى المفصل وإيقاعه ذلك (في نَظْم القرآن، ص٣٨). وسوف نرى لاحقًا حالات من هذا القبيل.

عند عرض النصّ الفرنسي في لوحة، *نضع قبل كلّ مفصل حرفًا لاتينيًّا صغيرًا في أعلى السطر* ($^{a, b, c}$)، وعند التعليق على التحليل نسمي المفصل الأول بـ (1a)، والثاني بـ (b)؛ والمفصل الثالث بـ (2a)، ثم (b)، ثم (c).

أمّا في الألواح العربية نلتزم بالمعتاد في كتابة المصحف من وضع رقم الآية في نهايتها (وليس في بدايتها كما في الترجمة الفرنسة والإنجليزية)[١]. ثم نذكر فاصلة خواتيم الآيات كما فيما سبق (ـير أو ـور)؛ لأنه يمكن أن تلعب دورًا في نظم النصّ، مثل تقسيم السورة الحالية إلى سلسلتَيْن لكلّ منهما فاصلتها الخاصّة: (ـير أو ـور) للسلسلة الأولى، و(ـين، أو ـيم، أو ـون) للسلسلة الثانية. وتصطف المفاصل رأسيًّا على التوالي كما في الشِّعْر.

(١) يجب التنبيه على أن المؤلِّف يتحدّث هنا عن النصّ العربي المدرج داخل النصّ الفرنسي الأصلي، وقد حذفنا في الترجمة هذا النصّ الفرنسي لتفادي التكرار، على أنّنا نلتزم في الترجمة بتطبيق معايير اللّوحات الفرنسية كما هي في النصّ الأصلي على لوحات الآيات العربية. (المترجم)

الخطوة الثانية

يتم توضيح أو تمييز العناصر المتطابقة أو المترادفة (بالمعنى الواسع للكلمة) عن طريق كتابتها بلون معيّن أو بخط معيّن متوافقين.

(١) [أ] تَبَارَكَ **الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**

[ب] *وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* فاصلته (ـير)

(٢) [أ] **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**

[ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

[ج] *وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ* فاصلته (ـور)

نلاحظ أنّ المفصلين ١أ و٢أ يبدآن باسم الموصول «الذي» ويعبّران عن قدرة الله. المفصل الأول هو جملة اسمية (دون فعل ظاهر)، والثاني جملة فعلية بها فعل «خلق».

(١) [أ] **الَّذِي** *بِيَدِهِ الْمُلْكُ*

(٢) [أ] **الَّذِي** *خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ*

أمّا المفصلان ١ب و٢ج فيبدآن بـ«وهو» ثم يتبعان بما يعبّر عن قدرة الله المطلقة. وهما جملتان اسميتان:

(١) [ب] **وَهُوَ عَلَى** *كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*

(٢) [ج] **وَهُوَ** *الْعَزِيزُ الْغَفُورُ*

يُبرِز هذان المفصلان السِّمَتَيْن الأساسيتين للبلاغة الساميّة: «الثنائية» (ذُكِر نفس المعنى –القدرة المطلقة لله– مرتين بالتوازي) والمجاورة.

فالمفصلان ١ب و٢ج متجاوران مع المفاصل السابقة عليهما دون رابط منطقي سوى حرف العطف «و» (في نظم القرآن، ص٢٧ وما بعدها).

وقد يحدث غالبًا أن يترجم العنصر، في الكتابة العربية، إلى عدّة كلمات في النصّ الفرنسي أو الإنجليزي. وفي هذه الحالة، يمكننا ربط الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية بشرطة ليعني ذلك أنها توافق المقابل لكلمة عربية واحدة مثل «a-dans-sa-main» مقابل «بيده» أو «pour-vous-éprouver» كمقابل لكلمة «ليبلوكم» في المثال التالي:

(١) [أ] تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

[ب] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٢) [أ] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

[ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

[ج] وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

كما يمكننا فصل العناصر عن طريق وضع مسافة جدولة لزيادة وضوح النصّ وسهولة قراءته كما هو مبين أدناه:

(١) [أ] تَبَارَكَ	الَّذِي	بِيَدِهِ	الْمُلْكُ
[ب] وَهُوَ	عَلَى	كُلِّ شَيْءٍ	قَدِيرٌ
(٢) [أ] الَّذِي	خَلَقَ	الْمَوْتَ	وَالْحَيَاةَ
[ب] لِيَبْلُوَكُمْ	أَيُّكُمْ	أَحْسَنُ	عَمَلًا
[ج] وَ	هُوَ	الْعَزِيزُ	الْغَفُورُ

يتكون المفصل الأول من أربعة عناصر والثاني من ستة والثالث من خمسة والرابع من أربعة والخامس من أربعة.

الخطوة الثالثة:

مفاصل ذات أفرع (في نظم القرآن، ص: ٤٤- ٤٩)، وذات أقسام (في نظم القرآن، ص: ٤٩- ٥٥).

(١) [أ] تَبَارَكَ **الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**

[ب] ***وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*** (١)

(٢) [أ] **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**

[ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

[ج] ***وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ*** (٢)

نلاحظ وجود تكرار اسم الموصول نفسه «الذي» كعنصر بدئي لكلتا الآيتين ١أ و٢أ وكذلك تقابلًا ترادفيًّا (بالمعنى الواسع للكلمة: أي «معانٍ متجاورة»، أو تناظر) بين المفصلين ١ب و٢ج. وهما عبارتان لاهوتيتان، وهما من سِمات القرآن؛ وغالبًا ما تختمان وحدة بلاغية (كما هي الحال في المفصلين ١ب و٢ج). ونطلق عليها في البلاغة الساميّة «عناصر نهائية» (في نَظم القرآن، ص: ١٧٣- ١٧٦). تشير هذه المفاصل النهائية هنا إلى القدرة الإلهية. وتسمحان بتقسيم المفاصل الخمسة للآيتين: ١- ٢ إلى *فرعين*: فرع ثنائي المفصل (١أ-ب)، وفرع ثلاثي المفاصل (٢أ-ج). (في نظم القرآن، ص٤٤ وما بعدها).

قاعدة: في التحليل البلاغي، يمكن للفرع أن يتضمّن مفصلًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة، لكنه لا يتضمّن أبدًا أكثر من ذلك (قاعدة يجب أن تحفظ!).

ولإظهار تمايز الفرعين في اللوحة، سوف نفصل بينهما بخطّ فارغ كما هو مبين أعلاه.

وبأخذ الفرعين معًا، يشكلان *مستوى نصيًّا ثالثًا* (بعد *المفصل والفرع*)، وهو القسم (في نظم القرآن، ص: ٩١- ٩٩)، كما سنراه في اللوحة أدناه.

الفرع الأول (١أ-ب) في شكل توازٍ كلّي (أ/ / أ'): يشار إلى الله في كل مفصل بصيغة تدل على السموّ المطلق، الملك (١أ) والقدرة (ب).

(١) [أ] تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

[ب] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أمّا الفرع الثاني فهو من الصيغة (أ أ'ب): يرتبط المفصلان أ أ' إعرابيًّا فيما بينهما (جملة صلة الموصول) ٢أ متبوعة بجملة تابعة نهائية ٢ب؛ (ب) عبارة عن جملة رئيسة اسمية، صلة موصول الجملة (أ). وهي كذلك عبارة عن صيغة لاهوتية تختم الفرع ثلاثي المفاصل. ويشير المفصل ٢ب أي (أ') إلى الغاية من خلق الله للموت والحياة: والهدف هو التمييز بين مخاطبي هذا الخطاب («أنتم»)، أيُّهم أحسنُ عملًا (أو قام بالعمل الأفضل). وسوف يأتي شرح ذلك في كل ما سيتبع من آيات السورة.

أ (٢) [أ] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

أ' [ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

ب [ج] وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

من وجهة نظر مستويات النصّ، تشكل الآيتان معًا «قسمًا» كما ذكرنا سابقًا. أمّا من جهة «أشكال النظم» يحقق القسم (١ – ٢) «توازيًا ترادفيًّا»، فكلا الفرعين يطوّران موضوع القدرة الإلهية المطلقة ويختتمان بصيغة لاهوتية قرآنية نموذجية.

(١) [أ] تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

[ب] وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(٢) [أ] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

[ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

[ج] وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

وسوف نقابل لاحقًا الشكلين الآخرين من أشكال النّظم في التحليل البلاغي: «التوازي المعكوس» أو «بنية المرآة» (أ ب/ ب′ أ′) و«النظم المحوري (بالإنجليزية: *ring composition*)» (أ ب ج / x/ ج′ ب′ أ′).

ويمكن في الغالب إعادة النظر في الشكل (أ أ′ ب) التي أعطيناها للآية (٢) وفقًا لبنيتها الإعرابية، من وجهة النظر الدلالية باعتبارها نظمًا محوريًّا (أ ب أ′).

أ (٢) [أ] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

ب [ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

أ′ [ج] وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)

نجد في المفاصل الطرفية أن «الله» هو الفاعل («الذي» و«هو») ومعناهما أن الله يملك القدرة المطلقة (خالق الموت والحياة أ، ٢ب؛ والقدير أ′ ٢ج).

وقد عُبّر في المحور عن الغاية من الخَلْق باستخدام ضمير المخاطب للجمع (وهم الذين وجّه الخطاب إليهم) وهو المفعول به. ومن وجهة النظر النحوية أو الدلالية يمكن الحصول على بِنى مختلفة لآية واحدة أو فرع واحد.

قاعدة:

- يمكن للأفرع ثلاثية المفاصل أن تتخذ أحد أربعة أشكال: (أ أ′ ب)، (أ ب ب)، (أ ب أ′)، (أ أ′ أ″).
- كما أن الفرع يمكن أن يتضمّن مفصلًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة ولكن ليس أكثر على الإطلاق، يمكن للقسم أن يتضمّن فرعًا واحدًا، أو اثنين أو ثلاثة لكن ليس أكثر على الإطلاق. وكذلك الحال بالنسبة للمستوى الأعلى المسمّى «جزء»، والذي يمكن أن يتضمّن قسمًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة وليس أكثر على الإطلاق. وسوف نعود إلى ذلك لاحقًا.

فقد رصدنا إذًا أول وحدة بلاغية أطلقنا عليها مؤقتًا تسمية «قسم». وإذا نظرنا إليها في سياق السورة ككلّ، فقد تنتمي إلى مستوى نصِّي آخر غير القسم، كما سنرى ذلك.

ملخص تحليل الآيتين: ١، ٢

تم تحليل الآيتين: ١، ٢، إلى أربعة مستويات نصية، هي: العنصر، المفصل، الفرع، القسم.

«المفصل» عبارة عن جملة قصيرة أو «وحدة دلالية» ويتميز قبل كلّ شيء بوجود فعل ظاهر أو مستتر (في الجمل الاسمية). ويشمل عادةً عدة عناصر (أو كلمات).

في المستوى النصي الثاني، تمثّل كلّ من الآيتين فرعًا. الأول فرع ثنائي المفاصل يشمل مفصلين متوازيين. والفرع الثاني هو فرع ثلاثي المفاصل. يُلاحظ الفرعان المتوازيان من خلال العناصر البدئية والعناصر النهائية المتطابقة.

يمكن للأفرع ثلاثية المفاصل أن تأخذ شكلًا من الأشكال الآتية: (أ أ′ ب) أو (أ ب ب′) أو (أ ب أ′). في سورتنا تلك ترددنا فيما يتعلق بالفرع الثاني بين الشكل (أ أ′ ب) والشكل (أ ب أ′)، وهذا الشكل الثاني يبدو لنا أفضل. ويمكن أثناء التحليل تجربة بنى مختلفة للنصّ نفسه. كما يمكن للتحليل الأكثر تعمقًا في المستويات النصية الأعلى أن يؤكد أو ينفي هذه البنية أو تلك من البِنى المؤقتة.

وعلى المستوى النصِّي الثالث، يكَوِّن الفرعان «قسمًا». من وجهة النظر الدلالية نرى فيه بركة استهلالية للسورة. ومن وجهة نظر الشكل البلاغية يتضمّن القسم فرعين متوازيين.

وسوف نعتمد القاعدة ذات الأهمية القصوى الخاصّة بتقطيع النصّ، والتي بموجبها يمكن للفرع أن يتضمّن مفصلًا واحدًا، أو اثنين أو ثلاثة، وليس أكثر على الإطلاق؛ وكذلك الحال بالنسبة للقسم: يمكن أن يتضمّن فرعًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة، وليس أكثر على الإطلاق.

التناص

بالرغم من أن ذلك لا ينتمي حرفيًّا إلى التحليل البلاغي، إلا أن مقارنة الآيتين الأولى والثانية مع نصوص من الكتاب المقدّس (أو ربما شبه الكتابية كالأناجيل المنحولة) سوف يعطيها عمقًا تاريخيًّا وأدبيًّا. ومن هنا جاءت الحاجة لهذا المقطع المتعلق بـ«التناص» والذي يشهد أن القرآن يندرج ضمن نفس العالم الديني والثقافي للتوراة – كما يخبر به القرآن نفسه في مواضع عدة، فوفقًا لـ(باول نوينكيرشن) (Le Coran des historiens, p. 1910):

تستهل الآية الأولى بالفعل «تبارك»، بمعنى «Bénit soit»، والذي يوجد مقابله اليهودي في الصلاة الحاخامية «البركة» (*Berākāh*) التي تبدأ بعبارة: «مبارك أنت» (*bārūk attāh*)، والتي أُخذت بعد ذلك في الصلوات المسيحية المستمدة من عبارات العهد الجديد، مثل: «مبارك هو الله» (باليونانية: *eulogétos o Theos*، وبالسريانية: *mbarak Alāh*) في بداية الرسالة الثانية إلى أهل كورنثس (Baumstark, J ḍischer und christlicher Gebetstypus, p. 231-233).

تستهلّ صرخة الحمد «مبارك الرب» (Béni soit Yahvé) غالبًا الدعاء إلى الله في التوراة على سبيل المثال على لسان داوود في (سفر صموئيل الأول) (٢٥، ٣٢ و٣٩) وفي عدّة مزامير سواء كان ذلك في بداية المزمور (مزمور ٢٨، ٦، «مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعي» (مزمور ١١٣، ٢؛ مزمور ١٤٤، ١)، أو في الخاتمة: مزمور

٤١، ١٤؛ مزمور ٦٦، ٢٠؛ مزمور ٧٢، ١٨- ١٩، «مبارك الرب الله إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده. ومبارك اسم مجده إلى الدهر، ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين».

تظهر مشتقات كلمة (مُلك) مثل: «الملك»، «ملكك»، «الرب مَلَك»، في سلسلة من المزامير يسميها المفسِّرون «مزامير الملكوت» وهي: المزامير ٤٥، ٦؛ ٤٧، ٩؛ ٩٣، ١ «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة»؛ ٩٧، ١؛ ٩٩، ١؛ ١٤٥، ١١ «بمجد ملكك ينطقون»؛ ١٤٥، ١٣ «ملكك ملك كل الدهور»؛ ١٤٦، ١٠ «يملك الرب إلى الأبد».

وبالنسبة للساميين، خلق الله كلّ شيء: الموت والحياة. وهناك نشيد منسوب إلى موسى في سفر التثنية يستخدم فيه مصطلحات عدّة نجدها في سورة «الملك»: «أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي [أغضر]، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ/ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ». سفر التثنية ٣٢، ٣٩.

التفسير

بعد المراحل السابقة وقضايا مفردات اللغة والإعراب، والنظم البلاغي للنصّ، ودراسة السياق القرآني والتناص، يجب أن يسمح التفسير أو اكتشاف المعنى بإبراز العلاقات المختلفة بين عناصر نظامٍ بلاغي ما (في نظم القرآن، ٢٢٥).

ينبثق من الآيتين الأوليين معنى أوّل، يتبدّى في صورة «صلاة شكر شعائرية» لله لإظهار قدرته المطلقة على كلّ شيء:

(١) [أ]*تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ* [ب] *وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*

(٢) [ج] *وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ*

نجد بين هاتين الآيتين إشارة إلى بلاء يتعلق بالسلوك البشري: ما هو الأفضل لهم عند الاختيار، الموت أم الحياة اللذان خلقهما الله؟

(٢) [أ] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ [ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

يُفَصِّل باقي السورة ما يشتمل هذا الابتلاء (كما فهمه سيد قطب- انظر سابقًا)، وسوف نعود لتفسير المفاصل (٢ أ-ب) حالما نكون قد درسنا مجمل النصّ وأبرزنا العلاقة البنيوية بين المقدمة وبقية السورة.

الآيات: ٣- ٥، خلق السماوات السبع والنار:

تتناول الآيات الست التالية (٣- ٩) بعد البركة الاستهلالية، موضوعًا جديدًا، وهو خلق السماء (٣- ٤) وخلق النار (٥- ٩) - وهي مقابلة ثنائية تقليدية في القرآن كما في التوراة. لنحلّلهما إذًا بنفس طريقة الآيتين السابقتين.

النص

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) [أ] وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ [ب] وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)﴾

قضايا مفردات اللغة:

يترجم اسم الله «الرحمن» دائمًا بـ(Le Très Miséricordieux) وأحيانًا بـ(Le Bienfaiteur) (انظر: R. Blachère؛ وبالإنجليزية: «The Benficent» كما عند بكتال). وهو ما يبدو لنا أفضل في سياق هذه السورة.

النظم

المفاصل

سوف نقسم نص هذه الآيات الخمس إلى جمل قصيرة (المفاصل) وسوف نرقّمها، مبرزين العناصر المتوافقة أو المتطابقة أو المترادفة.

(٣) [أ] الَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا

[ب] مَّا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحمَنِ مِن تَفَاوُتٍ

[ج] فارجِعِ ٱلبَصَرَ

[د] هَل تَرَى مِن فُطُور فاصلة (ـور)

(٤) [أ] ثُمَّ ٱرجِعِ ٱلبَصَرَ كَرَّتَينِ

[ب] يَنقَلِبْ إِلَيكَ ٱلبَصَرُ خَاسِئًا

[ج] وَهُوَ حَسِيرٌ فاصلة (ـير)

(٥) [أ] وَلَقَد زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَابِيحَ

[ب] وَجَعَلنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ

[ج] وَأَعتَدنَا لَهُم عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ

يتضمّن المفصلان (٣ أ، ب) لفظين من نفس الجذر اللغوي (خ ل ق): ﴿خَلَقَ﴾ (٣أ) // ﴿خَلْق﴾ (٣ب). يتكرر التعبير ﴿ارجِعِ البَصَرَ﴾ في المفصلين (٣ج) و(٤أ) ثم لفظ ﴿الْبَصَرَ﴾ في المفصل (٤ب). تظهر العبارات ﴿مَا تَرَىٰ﴾ و﴿هَل تَرَى﴾ في المفصلين (٣ب) و (٣د). أمّا اللفظتين: ﴿خَاسِئًا﴾ و﴿حَسِيرٌ﴾ وهما مترادفتان، فقد جاءتا في المفصلين (٤ب) و(٤ج). تبدأ المفاصل الثلاثة من الآية (٥) بفعل من نفس الشكل الإعرابي ولهما نفس

المعنى: الغائب المفرد لأفعال حركة متشابهة (زيّن، جعل، أعدّ). أمّا المفصلان (٣أ) و(٥أ) فلهما معنى متجاور يخص السماء.

الآيتان: ٣- ٤، *الأفرع*، رؤية السماوات السبع متقنة الخلق.

(٣) – [أ] ٱلَّذِي **خَلَقَ** سَبۡعَ سَمَاوَاتٖ طِبَاقٗا

[ب] مَّا تَرَىٰ فِي **خَلۡقِ** ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن **تَفَاوُتٖ**

[ج] *فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ*

[د] هَلۡ تَرَىٰ مِن **فُطُورٖ**

(٤) [أ] ثُمَّ *ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ* كَرَّتَيۡنِ

[ب] يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا

[ج] وَهُوَ حَسِيرٞ

يشكّل المفصلان ٣أ، ب بكلّ وضوح فرعًا ثنائيّ المفاصل يمتدح الخلق الأكمل للسماوات السبع التي خلقها الرحمن، وخلوّ هذا الخَلْق من أدنى تفاوت (عدم استواء).

(٣) – [أ] الَّذِي **خَلَقَ** سَبۡعَ سَمَاوَات طِبَاقٗا

[ب] مَّا تَرَىٰ فِي **خَلۡقِ** الرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَاوُت

للوهلة الأولى يبدو أنّ المفاصل الثلاثة (٣ج، د، ٤أ) تشكّل فرعًا ثلاثي المفاصل: فرعان طرفيان (٣ج، ٤أ) يشتملان على نفس فعل الأمر ﴿ٱرْجِعِ الْبَصَرَ﴾ ويؤطران مفصلًا مركزيًّا في صيغة سؤال بلاغي: ﴿هَلْ تَرَى﴾ طبقًا للقانون الخامس للوند (في نظم القرآن، ص١٧٠).

[ج] *فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ*

[د] هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُور

(٤) [أ] *ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ* كَرَّتَيْنِ

ومع ذلك يربك هذا الشكل نظام الفواصل في النصّ؛ لأنّ الجملة (٤أ) تتداخل مع الآية السابقة (٣د) التي تنتهي بالفاصلة (ـور). ونظفر بهذا النوع من التداخل بين فرعٍ ما مع الآية السابقة أحيانًا في القرآن، كما لاحظ ذلك جاك بيرك (انظر سابقًا). لكن من المفضل تجنب ذلك بقدر الإمكان[١]. يمكننا إذًا ملاحظة أنّ الجملة (٣-د) فرع جديد يتشكّل من مفصلين: فعل الأمر ﴿فَارجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ (٣ج) متبوعًا بسؤال بلاغي يوضح العلة منه ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُور﴾.

(١) في تحليلاته لنَظْم القرآن لا يرى كويبرس إشكالًا أحيانًا في إمكان تجاوز الفاصلة كنقطة تحدّد نهاية الآية وبداية آية أخرى، وهو موقف انتقده عليه بعض الباحثين الغربيين. يراجع: النظم الحلقي والمحوري في القرآن، قراءة نقدية في أعمال كويبرس وفارين، نيكولاي سيناي، ترجمة: سعد خضر، موقع تفسير. (قسم الترجمات)

[ج] فَارجِعِ ٱلبَصَرَ

[د] هَل تَرَىٰ مِن فُطُور (٣)

قاعدة: أثناء التحليل البلاغي، يجب التنقل بشكلٍ مستمرّ بين مستويات النص المختلفة للتقدّم بشكلٍ تدريجي نحو التقسيم الصحيح للنصّ.

لنتناول الآية التالية التي تتضمّن فرعًا ثلاثي المفاصل (آية ٤أ-ج)

(٤) [أ] ثُمَّ ٱرجِعِ ٱلبَصَرَ كَرَّتَيْنِ

[ب] يَنقَلِب إِلَيْكَ ٱلبَصَرُ خَاسِئًا

[ج] وَهُوَ حَسِيرٌ

يُعتبر المفصلان الأوّلان مترادفين: ﴿ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ (٤أ) // ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيكَ ٱلبَصَرُ﴾ (٤ب). وينتهي المفصلان الآخران بمترادفين، وهما: ﴿خَاسِئًا﴾ (٤ب) // و﴿حَسِيرٌ﴾ (٤ج). من الناحية الإعرابية، يعتبر المفصل (٤أ) في صيغة الأمر، في حين أنّ المفصلين التاليين (ب-ج) في المضارع وهو ما يشير إلى فرع ثلاثي المفاصل من الصيغة (أ ب ب').

القسم:

رأينا سابقًا أن النص لا يمكن أن يتضمّن أكثر من ثلاثة أفرع. وهذه هي الحال هنا: يبدو النصّ مبنيًّا من ثلاثة أفرع، مرتبة حسب الصيغة (أ ب أ). يشمل كلَا الفرعين الخارجيين ثلاثة مفاصل. يشمل الفرع الأول كـ«عنصر نهائي» على جملة (٣ج) متطابقة بشكل جزئي مع الجملة البدئية للفرع الثالث (٤أ).

لا يشتمل الفرع المحوري إلا على مفصل واحد (وهو بذلك «فرع أحادي المفصل»)، وهو عبارة عن «سؤال مركزي» (في نظم القرآن، ص١٠٣ وما بعدها). ورغم أن هذا السؤال بلاغي بامتياز إلا أنه أُبرز عن طريق فعل الأمر ﴿ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ الذي يؤطره (٣ج و٤أ).

يُظهِر تحليلنا هنا أن اكتشاف البنية الصحيحة للآيتين (٣- ٤) ربما يكون قد مرّ بعدة فرضيات مؤقتة.

---

(٣) – [أ] ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَاوَاتٖ طِبَاقٗا

[ب] مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَاوُت

[ج] فَارۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ

[د] هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُور (٣)

(٤) [أ] ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ

[ب] يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا

[ج] وَهُوَ حَسِيرٞ

لا تبرز اللوحة أعلاه إلا توافقات العناصر من ناحية المعنى على مستوى القسم.

قاعدة: «عندما ننتقل من مستوى [نصِّي] إلى مستوى نصِّي أعلى يجب أن "ننسى" علامات النَّظْم الخاصّة بالمستويات الأدنى لتجنب إثقال النص». (R. Meynet).

عند عرض النص في شكل لوحة يجب أن يسبقه خط أفقي ويليه خط كما في اللوحة السابقة.

الآية (٥): زيَّن اللهُ السماء الدنيا بمصابيح وجعلها حصنًا ضد الشياطين التي تُقذف في النار.

هذه الآية هي قسم لا يشتمل إلا على فرع ثلاثي المفاصل:

(٥) [أ] وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَابِيحَ

[ب] وَجَعَلنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ

[ج] وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

قضايا مفردات اللغة:

فيما يتعلق بالمفصل (٥ب) نحيل القارئ إلى الدراسة المعمقة لـ« G. S. Reynolds» (جابريل سعيد رينولدز) حول معنى «رجيم» وجمعها «رجوم» (The Qurān and Its Biblical Subtext, p. 61 ss). تترجمها أغلب

التفاسير والترجمات إلى «lapidés»: تعمل النجوم كمقذوفات لرجم الشياطين وإرسالها إلى النار. وبحسب الدراسة المقارنة لرينولدز مع آيات قرآنية أخرى ونصوص ساميّة، وكذلك بالنظر لعلم الكونيات، فإنّ هذه الأجرام عبارة عن نجوم ثابتة تشكّل حاجزًا ضدّ الشياطين والجنّ على غرار أبراج المراقبة، تمنعها من اختراق السماء الدنيا لتستمع إلى النصائح الإلهية. إذًا لا تعني كلمة «رجوم» «lapidés»، أي رجَمَتْها النجوم، ولكنها تعني «barrières»، أي حواجز «تمنع اختراق» السماء (انظر ص٦٢).

كلمة (demon) هي ترجمة لكلمة «شياطين» وهو نفس أصل كلمة (Satan) الفرنسية. وتعني كلمة (śāṭān) بالعبرية (خصم) أو (متّهم).

النظم:

تتكون الآية (٥) بشكل واضح من ثلاثة مفاصل، يبدأ كلّ منها بفعل حركة في صيغة المتكلّم الجمع (يسمى «الجمع الإلهي» في تفسير الكتاب المقدس). وتنتهي بمفعول هذا الفعل: المصابيح السماوية (٥أ)، الشياطين (ب)، السعير (ج). تتجاور هذه الجمل بأسلوب «المجاورة» وترتبط فقط عن طريق حرف العطف «و» (في نظم القرآن، ص: ٢٧- ٣٣).

ويختم هذا الفرع التطوّر الخاصّ بالسماوات (٥أ) الذي بدأ في الآيتين: (٣- ٤)، وذلك بتناول مضادّها: النار، وهي عالم الشياطين.

جملة الآيات: ٣- ٥

(٣) – [أ] **ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَات طِبَاقًا**
[ب] مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحمَنِ مِن تَفَاوُت
[ج] فَارْجِعِ ٱلبَصَرَ

[د] هَلْ تَرَى مِن فُطُور (٣)

(٤) [أ] ثُمَّ ارْجِعِ ٱلبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
[ب] يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلبَصَرُ خَاسِئًا
[ج] وَهُوَ حَسِيرٌ

---

(٥) [أ] **وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ الدُّنيَا بِمَصَابِيحَ**
[ب] وَجَعَلنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ
[ج] وَأَعتَدْنَا لَهُم عَذَابَ **السَّعِيرِ**

كلا القسمين يحتويان على مفصل بدئي متشابه: الرحمن خلق السماوات السبع طباقًا (٣أ) وزيّن السماء الدنيا بالنجوم (٥أ). يشكّل هذان القسمان معًا «جزءًا» – المستوى النصّي الأعلى مباشرة من القسم. يُختتم الجزء بمفصل نهائي (٥ج)، يتناول سقوط الشياطين في عذاب النار؛ وهذا المفصل هو مضاد السماء الدنيا (٥أ) وذلك وفق التوازي المضاد التقليدي (السماء ↔ النار).

قاعدة: نستطيع تمييز العناصر البدئية و/ أو النهائية في وحدة بلاغية في نهاية الوحدة وربما العناصر المركزية. إذا تعلّق الأمر بوحدتين مختلفتين ولكنهما مرتبطتان بعناصر، فتسمى هذه العناصر «عناصر وصلية» (في نظم القرآن، ص: ١٣٢- ١٤٥).

ملخص الآيات: ٣- ٥

إضافة إلى الخصائص التي لاحظناها في القسم (١- ٢)، فقد اكتشفنا قواعد جديدة:

عند الانتقال من لوحة إلى لوحة أخرى، إلى مستوى نصِّي أعلى، يجب أن «ننسى» علامات النَّظْم الخاصّة بالمستويات الأدنى لتجنّب إثقال اللوحة والمخاطرة بحدوث خلط.

من الضروري التنقل باستمرار بين المستويات النصّية للتقدم تدريجيًّا نحو تقسيم دقيق للنص.

يتم تحديد تقسيم النصّ عن طريق «عناصر بدئية» أو «عناصر نهائية» أو ربما «عناصر مركزية» (إذا كان هناك محور)، تتوافق فيما بينها عن طريق الترادف أو التشابه في الشكل الإعرابي. كما يمكن ربط وحدتَيْن عن طريق «عناصر وصلية» تظهر في الوحدة الأولى وفي بداية الوحدة الثانية.

«التجاور» هو أحد الأشكال البلاغية (المميزة للقرآن) والتي بموجبها تتجاور الوحدات الدلالية بكلّ بساطة دون الإشارة إلى رابط بينها سوى حرف عطف مثل «و» أو «ف» أو عن طريق ضمير كما هي الحال هنا (في نظم القرآن، ص: ٢٩- ٣٠).

الآيات: ٦- ١٢. هلاك الكافرين، نجاة المتقين:

نبدأ بتقسيم جملة الآيات (٦- ١٢) بحسب مفاصلها ثم نشير إلى العناصر المتوافقة عن طريق ألوان مختلفة أو نوع خط مختلف.

(٦) [أ] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ

[ب] وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

(٧) [أ] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا

[ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

[ج] وَهِيَ تَفُورُ (٧)

(٨) [أ] تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

[ب] كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ

[ج] سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا

[د] أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

(٩) – [أ] قَالُوا بَلَىٰ

[ب] قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

[ج] فَكَذَّبْنَا

[د] وَقُلْنَا (١)

[ه] مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

(١) لُوحظ أن المؤلِّف قد قام في النصّ الفرنسي لهذه الآيات بتقسيم الآية (٩) إلى خمسة مفاصل، في حين أنه قسمها في النص العربي إلى ستة مفاصل (فرعين متضادين ثلاثيي المفاصل). وقد جرينا هنا على تقسيمها لستة مفاصل باعتباره ما درج عليه المؤلِّف في أثناء تحليل الآية كما سيظهر لاحقًا. (المترجم)

[و] إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ

(١٠) [أ] وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ

[ب] مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

(١١) [أ] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ

[ب] فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ

(١٢) [أ] إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ

[ب] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

تشكّل الآيات (٦- ١٢) مجموعة متناسقة دلاليًّا تتناول هلاك الكافرين في النار وفي نهايتها السعادة التي وعدها الله الذين يخشونه في الآخرة (١٢ ب). يمكن لهذه المجموعة أن تقسم إلى عدّة وحدات سوف نتناول لاحقًا العلاقات بينها.

الآية ٦. يتعرّض الكافرون لعذاب جهنم

(٦) [أ] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ

[ب] – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

تشكّل الآية (٦) «فرعًا ثنائي المفاصل» حيث يتجاور مفصلَا الفرع في شكل «تجاور» يربط بينهما فقط حرف العطف البدئي (و) ويختتمان بالعناصر النهائية التي تعني نفس الحقيقة «النار»: ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ (٦أ) // ﴿بِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (ب).

الآيتان: ٧-٨أ. سقوط الكافرين في جهنم

---

(٧) [أ] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا

[ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

[ج] وَهِيَ تَفُورُ (٧)

(٨) [أ] تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

تشكّل المفاصل الأربع (٧-٨أ) قسمًا ينقسم إلى فرعين ثنائيي المفصل متوازيين. يصف الفرع الأول (٧أ-ب) سقوط الكافرين في نار جهنم التي تفور، ويصف الفرع الثاني (٧ج-٨أ) النار نفسها، كما لو كانت كتلة سائلة آخذة في الغليان، على وشك الانفجار من الغضب.

الفرع الأول: (عبارة عن شبه جملة ظرف زمان ٧أ، متبوعة بجملة رئيسة ٧ب)، ويتضمّن الفرع أفعالًا من نفس الشكل النحوي (في صيغة الغائب الجمع) تحيل إلى النار، يشير إليها ضمير الغائب المتصل (ـها) الذي يشير إلى جهنم (مؤنث في اللغة العربية والفرنسية على السواء).

(٧) [أ] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا

[ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

الفرع الثاني (٧ج–٨أ): هو فرع ثنائي المفاصل مرادف للأول. ينتهي الفرعان في الواقع بعناصر نهائية مترادفة: ﴿شَهِيقًا﴾ (٧ب) // ﴿الْغَيْظِ﴾ (٨أ).

جملة الآيات (٦–٨أ). سقوط الكافرين في النار

(٦) [أ] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ

[ب] – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) فاصلة (ـير)

(٧) [أ] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا

[ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

[ج] وَهِيَ تَفُورُ (٧) فاصلة (ـور)

(٨) [أ] تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

تشكّل هذه الأفرع الثلاثة (ثنائية المفاصل) معًا وحدة دلالية: الفرع الأول يحدّد عذاب جهنم على أنه مصير للكافرين؛ في حين يصف الفرعان التاليان جهنم نفسها كما لو كانت كتلة سائلة على وشك الانفجار. تشكّل هذه الأفرع معًا قسمًا ينتظم في الشكل (أ ب ب′).

الآيتان ٨ب–د: سؤال من خَزَنَة جهنم للكافرين

(٨) [ب] كُلَّمَا	أُلْقِيَ فِيهَا	فَوْجٌ
[ج] سَأَلَهُمْ		خَزَنَتُهَا
[د] أَلَمْ	يَأْتِكُمْ	نَذِيرٌ

يفتتح هذا الفرع ثلاثي المفاصل وحدة دلالية جديدة: محاكمة الكافرين التي يقودها خزنة جهنم. المفصلان الأوّلان (٨ب–ج) هما مفصلان سرديّان، أمّا الثالث فهو خطابي، ويشكلان الصيغة (أ أ′ ب) للفرع. تنتهي المفاصل الثلاثة بأسماء فاعلين نكرة (العناصر النهائية للمفاصل متوازية): أفواج (الكافرين)، (٨ب)؛ خزنة (جهنم)، (٨ج)؛ نذير، (٨د). يبرز في مركز المفاصل الطرفية أفعال حركة متضادة: ﴿أُلْقِيَ﴾ (في جهنّم) ↔ ﴿يَأْتِكُمْ﴾ (يأتي أفواج الهالكين). المفصل الأخير عبارة عن سؤال بلاغي يستدعي ردًّا إيجابيًّا. تبدأ المحاكمة إذًا هنا عن طريق سؤال خزنة جهنّم فيما يتعلق بقدوم «نذير» (غير معروف) لهذه الجماعات خلال حياتها الأرضية.

الآية ٩. دفاع الكافرين

---

(٩) – [أ] قَالُوا بَلَىٰ

[ب] قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

[ج] فَكَذَّبْنَا

[د] وَقُلْنَا

[ه] مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

[و] إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ

تعرض الآية (٩) كـ«قسم» يتألف من فرعين متضادين كلاهما ثلاثي المفاصل بينهما تناظر دقيق (أ ب ج)/ / (أ′ ب′ ج′): ٩أ/ / د؛ ب ↔ هـ؛ ج ↔ و . وهو عبارة عن خطاب مزدوج للهالكين ردًّا على سؤال خزنة جهنم. حيث

يبدؤون بالاعتراف أنه قد أُرْسِل إليهم نذير ولكن يعترفون كذلك أنهم قالوا إنّ اللهَ لم يُنْزِل إليهم شيئًا، مفنِّدين بذلك سؤال الخزنة.

الآيات: ١٠ – ١٢. ندم الكافرين في مقابل نجاة المتقين.

---

(١٠) [أ] وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
[ب] مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
(١١) [أ] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ
[ب] فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ
(١٢) [أ] إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
[ب] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

تتوافق الآيات الثلاث المذكورة هنا مع «قسم» يتألف من «ثلاثة أفرع» مرتبة دلاليًّا حسب البنية (أ أ' ب). ينتهي الفرعان الأوّلان (أ أ') (الآيتان: ١٠، ١١) بنفس اللفظ ﴿أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠ج و١١ب)، الذي يشير إلى الكافرين الهالكين. يشكّل الفرع (ب) (١٢) تضادًّا ليس فقط مع الآيتين (١٠، ١١) لكن كذلك مع كلّ الآيات السابقة التي تتعلّق بالكافرين في جهنم. ونشير هنا إلى ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (١٢أ) الذين سيكون لهم ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ في الجنة (ب).

بعد تحليلنا لمختلف الوحدات التي تتألّف منها جملة الآيات (٦– ١٢)، لِنَرَ كيف تتمفصل لتشكّل *مقطعًا من ثلاثة أجزاء*.

جملة الآيات: ٦ – ١٢. مقطعٌ من ثلاثة أجزاء

(٦) [أ] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
[ب] – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦)

(٧) [أ] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا
[ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا

[ج] وَهِيَ تَفُورُ (٧)
(٨) [أ] تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

(٨) [ب] كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ
[ج] سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا
[د] أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)

(٩) – [أ] قَالُوا بَلَىٰ [ب] قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

[ج] فَكَذَّبْنَا [د] وَقُلْنَا
[ه] مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ
[و] إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ

---

(١٠) [أ] وَقَالُوا
[ب] لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ
[ج] مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)

(١١) [أ] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ
[ب] فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)

---

(١٢) [أ] إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
[ب] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)

تشكل جملة الآيات (٦- ١٢) مقطعًا مكونًا من ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول (٦-٨أ) لا يشتمل إلا على قسم سردي واحد، يتكون بدوره من ثلاثة أفرع ثنائية المفصل، تصف سقوط الكافرين في النار.

الجزء الثاني (٨ب-د) عبارة عن قسم أحادي الفرع ثلاثي المفاصل؛ وهو «سؤال مركزي» يطرحه خزنة جهنم على الهالكين.

الجزء الثالث (٩- ١٢) يشتمل على ثلاثة أقسام:

١. إجابة الهالكين على خزنة جهنم.

٢. حسرة الهالكين لخطئهم.

٣. خاتمة المقطع -ونجاة المتقين- التي تُضاد جملة النصّ الذي سبقها الذي يتعلّق بعذاب الكافرين في النار.

يمتلك الجزء الثاني (٨ب-د) صفات مركز بنية مركزية. فهو عبارة عن «سؤال في المركز» يطرحه خزنة جهنم على هؤلاء الذين يسقطون في السعير. وكما هي عادة المراكز، يبدأ هذا المركز بإشارة أو بـ«عنصر وصلي» ﴿أُلْقِيَ﴾ (في جهنم – ٨ب) الذي يربطه بما سبق المركز ﴿أُلْقُوا فِيهَا﴾ (٧أ) ويختتم بالسؤال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨د) والذي يربط المركز بالإجابة التي تليه في المركز: ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ (٩ب).

الفرعان الطرفيّان (٦، ١٢) المحددان باللّون (الرمادي) هما فرعان متضادان يؤطران جملة المقطع؛

(٦) [أ] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
[ب] – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

(١٢) [أ] إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
[ب] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

قاعدة: تكون المقاطع والأجزاء مؤطرة (داخل جدول)

الآيات (١٣ – ١٩). يعلم الله أسرار القلوب، العناية الإلهية، البعث

النص

(١٣) [أ] وَأَسِرُّواْ قَولَكُم أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ
[ب] إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ

(١٤) [أ] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
[ب] وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

(١٥) [أ] هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ ذَلُولًا
[ب] فَامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِ
[ج] وَإِلَيهِ النُّشُورُ

---

(١٦) [أ] ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ
[ب] أَن يَخسِفَ بِكُمُ الأَرضَ
[ج] فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

(١٧) [أ] أَم أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ
[ب] أَن يُرسِلَ عَلَيكُم حَاصِبًا
[ج] فَسَتَعلَمُونَ كَيفَ نَذِيرِ

---

(١٨) [أ] وَلَقَد كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم
[ب] فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

(١٩) [أ] أَوَلَم يَرَواْ إِلَى ٱلطَّيرِ
[ب] فَوقَهُم صَافَّات وَيَقبِضنَ
[ج] مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَنُ

[د] إِنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ

هذا المجموع يمثّل جزءًا يتألّف من ثلاثة أقسام. وسوف نحلّل كلّ قسم على حِدَة ثم الأقسام الثلاثة مجتمعة.

القسم الأول (١٣ - ١٥)

(١٣) [أ] وَأَسِرُّواْ قَولَكُم أَوِ ٱجهَرُواْ بِهِۦ	
[ب] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ	فاصلة (ـُـور)
(١٤) [أ] أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ	
[ب] وَهُوَ ٱللَّطِيفُ الخَبِيرُ	فاصلة (ـير)
(١٥) [أ] هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ ذَلُولًا	
[ب] – فَامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِۦ	
[ج] وَإِلَيهِ النُّشُورُ	فاصلة (ـُـور)

يتضمّن هذا القسم خطاب «صوت النص»[١] (أو الله) الموجّه إلى البشر كافة. ويتألف من ثلاث آيات، أي ثلاثة أفرع مرتبة في شكل محوري (أ ب أ) مع سؤال بلاغي في المحور (١٤). يرتبط هذا المحور مع الفرع الثالث بفعلين مترادفين يعنيان الخَلْق الإلهي: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ (١٤أ) ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ (١٥أ). ويرتبط بالفرع الأول عن طريق العِلم المطلق لله، الذي يشمل أسرار القلوب

(١) انتحلنا هذا المصطلح من آن سيلفي بواليفو: انظر: A. S. Boisliveau, dans Le Coran par lui-même، انظر ثبت المراجع.

(١٣ب و١٤أ-ب). يختتم المقطع بتأكيد بعث (البشر ليحاسبهم الله ١٥ج). يَبرز التوافق بين الفرعين الخارجيين (١٣، ١٥) عن طريق التماثل الصوتي للفواصل (-ـُـور)[١]، في العناصر النهائية (صدور// نشور): عند البعث (النشور) يوم القيامة، سيعلم الله ما في (الصدور)، سواء تكلّمنا به أم لا.

القسم الثاني (١٦-١٧)

(١٦) [أ]ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ
[ب] أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرضَ
[ج] فَإِذَا هِيَ تَمُورُ — فاصلة (ـــور)

(١٧) [أ] أَم أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ
[ب] أَن يُرسِلَ عَلَيكُم حَاصِبًا
[ج] فَسَتَعلَمُونَ كَيفَ نَذِيرِ — فاصلة (ـــير)

يتألف النصّ من فرعين ثلاثيي المفاصل (١٦ و١٧أ) مترادفَيْن بشدة مكونَيْن توازيات بين كوارث أرضية (خسف الأرض، عاصفة حجارة)، بأسلوب استفهامي، مما يوحي منذ البداية بأن الأمر قد يتعلق بـ«سؤال مركزي»: هل سيحميكم اللهُ من هذه الكوارث من أجل سلامتكم؟

(١) عبّر الكاتب في الأصل الفرنسي بـ(CuCūr)، وهو تمثيل صوتي للوزن الصرفي العربي (فُعول) بضم الفاء، والحرف الأخير في الكلمة راء. وبعبارة أخرى: هو تمثيل لكون الكلمة من أربعة أحرف، آخرها واو وراء، والحرف الأول منها مضموم. (قسم الترجمات)

القسم الثالث (١٨ - ١٩)

(١٨) [أ] وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم
[ب] فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ

(١٩) [أ] أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ
[ب] فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ
[ج] مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ

[د] إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ

يبدو النصّ مرة أخرى مكونًا من ثلاثة أفرع مرتبة في شكلِ بناء محوري (أ ب أ') مع وجود سؤال (بلاغي) محوري يسلِّط الضوء كذلك على مَثَلٍ قصير يتعلّق بالأمن الذي يوفره الرحمن وحده إلى البشر كما أنه فقط يدعم الطير أثناء طيرانها.

يستكمل الفرع الأول (١٨أ-ب) الخطاب الإلهي الذي بدأ في المقطع السابق: كانت الأجيال السابقة كافرة كذلك وعانت من قسوة النذير الإلهي.

أمّا الفرع الثالث (١٩د) فلا يتضمّن إلا مفصلًا واحدًا. وهو خاتمة عقدية تقليدية تميز نهاية الوحدة البلاغية.

ومن قبيل التناص الخارجي، نلاحظ أنّ المثل الصغير المتعلّق بالطيور له مثيل في سفر النبي إشعياء (القرن الثامن قبل الميلادي) غير أنه يطبق هناك على حماية «الرب» للقدس في حين أنّ النصّ القرآني يستهدف حماية الله لكلّ البشر الذين خلقهم:

إشعياء ٣١، ٥: «كَطُيُورٍ مُرِفَّةٍ هَكَذَا يُحَامِي رَبُّ الْجُنُودِ عَنْ أُورُشَلِيمَ. يُحَامِي فَيُنْقِذُ. يَعْفُو فَيُنَجِّي».

جملة الآيات (١٣ - ١٩)

(١٣) [أ] وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُم أَوِ ٱجهَرُواْ بِهِ
[ب] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

(١٤) [أ] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ
[ب] وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ

(١٥) [أ] هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولًا
[ب] – فَامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِ
[ج] وَإِلَيهِ ٱلنُّشُورُ

(١٦) [أ] ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ
[ب] أَن يَخسِفَ بِكُمُ ٱلأَرضَ
[ج] فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

(١٧) [أ] أَم أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ
[ب] أَن يُرسِلَ عَلَيكُم حَاصِبًا
[ج] فَسَتَعلَمُونَ كَيفَ نَذِيرِ

(١٨) [أ] وَلَقَد كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم
[ب] فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ

(١٩) [أ] أَوَلَم يَرَواْ إِلَى ٱلطَّيرِ
[ب] فَوقَهُم صَافَّات وَيَقبِضنَ
[ج] مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَنُ

[د] إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ

جملة الآيات (١٣- ١٩) هي عبارة عن «جزء» يتألّف من ثلاثة أقسام مرتبة بحسب الصيغة (أ ب أ'). القسم الثاني عبارة عن سؤال مزدوج (سؤال في المركز). يرتبط هذا القسم بالقسم الأول عن طريق «عناصر وصلية» وهي «الأرض» (١٥أ، ١٦ب) والفعل «يعلم» (١٤أ، ١٧ج). ويرتبط القسم الثاني بالثالث عن طريق العناصر الوصلية ذات المعنى المتقارب: ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧ج) و﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨ب).

يؤطِّر الجزءَ فرعان طرفيان يُبرِزان عِلْم الله الكوني، سواء أكان ذلك في الصدور (١٣ب) أو عِلْم كلّ شيء (١٨د).

هناك توازٍ ترادفيّ طفيف بين الجملة المبينة باللون الرمادي: خلق اللهُ الأرضَ وسخّرها للناس ليتنقلوا فيها بأمان ويجدوا فيها أرزاقهم (١٥أ-ب) / / كما أن الله أبقى الطير في الهواء دون أن تسقط. هذه الآيات التي تعبر عن حماية الله للناس والطير تتعارض في شكل تضاد مع جُمَل المركز التي يهدد الله فيها أولئك الذين لم يسمعوا النذير الإلهي بأنّ الأرض ستخسف بهم أو يهلكون بوابل من الحجارة (ببَرد كالحجارة).

الآيات: ٢٠- ٢٢. من أهدى؟

(٢٠) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي هُوَ جُند لَّكُم	
[ب] يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحمَنِ	
[ج] إِنِ ٱلكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ	فاصلة (ـــور)
(٢١) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي يَرزُقُكُم	
[ب] إِن أَمسَكَ رِزقَهُۥ	
[ج] بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّ وَنُفُورٍ	فاصلة (ـــور)
(٢٢) [أ] أَفَمَن يَمشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجهِهِۦٓ أَهدَىٰٓ	
[ب] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاط مُّستَقِيم	فاصلة (ـــيم)

يتألف القسم (٢٠- ٢٢) من ثلاثة أفرع (٢٠، ٢١، ٢٢) يتضمّن كلّ منها سؤالًا بلاغيًّا.

يتشابه الفرعان الأوّلان فيما بينهما أكثر من الثالث. وهما فرعان ثلاثيًّا المفاصل يشتركان فيما بينهما من حيث الصِّيغة كما هي الحال في العناصر البدئية، ﴿أَمَّنْ﴾ (٢٠أ و٢١أ)؛ وعناصرهما النهائية ذات معانٍ متجاورة. (٢٠ج، ٢١ج) كما أنّ لهما نفس الفاصلة وهي (ـــير).

يختلف الفرع الثالث بدرجة أكبر: فهو فرع ثنائي المفاصل متضاد (٢٢أ ↔ ب)، بفاصلة مختلفة هي (ـــيم) وهي المرة الوحيدة في السورة. وهو كذلك مثلٌ قصيرٌ يختم السلسلة الأولى. وبكلّ وضوح يتبين أن القسم من الصيغة (أ أ ب).

نلاحظ أن اللفظ (الرحمن) (٢٠ب) يربط بداية القسم بالجزء السابق (١٩ج) باعتباره عنصرًا وصليًّا.

وصيغة المقارنة «أهدى» (٢٢أ) تذكر بصيغة التفضيل «أحسن» في بداية السلسلة الأولى (٢). وسوف نعود إلى هذه النقطة عند تحليل جملة السلسلة.

جملة الآيات: ١٣- ٢٢. اللوم الموجّه إلى المشككين الذين رفضوا الإنذار الإلهي.

(١٣) [أ] وَأَسِرُّواْ قَولَكُم أَوِ ٱجهَرُواْ بِهِۦٓ [ب] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ
(١٤) [أ] أَلَا يَعلَمُ مَنۡ خَلَقَ [ب] وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ
(١٥) [أ] هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرضَ ذَلُولٗا [ب] فَامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِۦۖ [ج] وَإِلَيهِ ٱلنُّشُورُ

(١٦) [أ] ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ [ب] أَن يَخسِفَ بِكُمُ ٱلأَرضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ
(١٧) [أ] أَم أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرسِلَ عَلَيكُم حَاصِبٗاۖ فَسَتَعلَمُونَ كَيفَ نَذِيرِ

(١٨) [أ] وَلَقَد كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم [ب] فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ
(١٩) [أ] أَوَلَم يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيرِ فَوقَهُم [ب] صَافَّٰتٖ وَيَقبِضنَۚ [ج] مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَٰنُۚ [د] إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيءِۭ بَصِيرٞ

(٢٠) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُم [ب] يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحمَٰنِۚ [ج] إِنِ ٱلكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢١) [أ] أَمَّن هَٰذَا ٱلَّذِي يَرزُقُكُم [ب] إِن أَمسَكَ رِزقَهُۥۚ [ج] بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ (٢١) [أ] أَفَمَن يَمشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجهِهِۦٓ أَهدَىٰٓ [ب] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّستَقِيمٖ

هذه الآيات تشكّل مقطعًا يتألّف من جزأين. كما رأينا في اللوحة أعلاه، يتضمّن الجزءُ الأولُ ثلاثةَ أقسام مرتّبة بحسب الصيغة (أ ب أ'). أمّا الجزء الثاني فلا يتضمّن إلا قسمًا واحدًا مقسمًا إلى ثلاثة أفرع.

وبما أن كِلَا الجزأَيْن قد تم تحليله بالتفصيل من قبل، فسوف نكتفي هنا بالإشارة إلى التوافقات على مستوى المقطع حتى لا نثقل اللوحة أو نضرّ بوضوح البنية في جملتها.

تنتهي الأقسام الطرفية للمقطع (١٣- ١٥ و٢٠- ٢٢) على صورة الرجل الذي يمشي آمنًا في بقاع الأرض (١٥ب) أو ذلك الذي يمشي مستقيمًا في طريق مستقيم (٢٢ب):

(١٥) [ب] فَامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا

(٢١) [أ] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِراط مُّستَقِيم

كما أنها تتضمّن صورة الله الذي يؤمِّن رزق الإنسان:

(١٥) [ج] وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِ

(٢١) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي يَرزُقُكُم إِنْ أَمْسَكَ رِزقَهُ

يختتم الجزآن بمثلٍ قصير (مظلّل باللون الرمادي) ولها معنى متشابه (١٩أ-ج و٢٢أ-ب). يبرز الأول حماية الله المستمرّة الذي يدعم البشر في حياتهم كما أنه يدعم الطير في طيرانه؛ أمّا الثاني فيضمن الهداية للبشر (بواسطة النذير) في طريق حياتهم.

(١٩) [أ] أَوَلَم يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُم [ب] صَافَّات وَيَقبِضنَ [ج] مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَنُ [د] إِنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ

(٢٢) [أ] أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجهِهِ أَهدَىٰ [ب] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاط مُّستَقِيم

يرتبط الجزآن فيما بينهما بعناصر وصلية تقع في نهاية الجزء الأول (١٩ج) وبداية الثاني (٢٠ب):

(١٩) [ج] مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰن
(٢٠) [أ] أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُند لَّكُم [ب] يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحمَٰنِ

أخيرًا، فإن الإشارة إلى كفّار الماضي والحاضر تؤدِّي دور العنصر الوصلي بين نهاية الجزء الأول (١٨أ)، وفي موضعين في الجزء الثاني (٢٠ج، ٢١ج):

(١٨) [أ] وَلَقَد كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم
(٢٠) [ج] إِنِ ٱلكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
(٢١) [ج] بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّ وَنُفُورٍ

تنتج كلّ هذه التفاصيل الدقيقة للنّظم عن الجُمَل المتجاورة في شكل «تجاور» و«ثنائية» على أساس من التكرار، التشابه، الترادف، أو التضاد.

جملة السلسلة الأولى (١ - ٢٢)

السلسلة الفرعية الأولى (١- ٢)، وهي بركة إلهية استهلالية؛ واختبار الإنسان في عمله وسلوكه. وهو «مقطع» يتضمّن قسمًا واحدًا.

(١) [أ] تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ [ب] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ (٢) [أ] ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوتَ وَٱلْحَيَوٰةَ [ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [ج] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢)

السلسلة الفرعية الثانية (٣- ٢٢). ثلاثة مقاطع.

المقطع الأول. خلق: خلق الله السماوات والنجوم والنار. وهو جزء ذو قسمين.

(٣) – [أ] ٱلَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا [ب] مَّا تَرَىٰ فِي خَلقِ ٱلرَّحمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ [ج] فَارجِعِ ٱلْبَصَرَ [د] هَل تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٤) [أ] ثُمَّ ٱرجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ [ب] يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا [ج] وَهُوَ حَسِيرٌ

(٥) [أ] وَلَقَد زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَابِيحَ [ب] وَجَعَلنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ [ج] وَأَعتَدنَا لَهُم عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (عنصر وصلي)

المقطع الثاني (٦ - ١٢). **السمعيات**: الكافرون في النار ↔ المتقون في الجنة. ثلاثة أجزاء

(٦) [أ] *وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ* عَذَابُ جَهَنَّمَ (عنصر وصلي) [ب] – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧) [أ] *إِذَا أُلْقُوا فِيهَا* (عنصر وصلي) [ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا [ج] وَهِيَ تَفُورُ (٨) [أ] تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

(٨) [ب] *كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ* (عنصر وصلي) [ج] سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا [د] أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (عنصر وصلي)

(٩) – [أ] قَالُوا بَلَىٰ [ب] قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ (عنصر وصلي) [ج] فَكَذَّبْنَا [د] وَقُلْنَا [ه] مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ [و] إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (١٠) [أ] وَقَالُوا [ب] لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ [ج] مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) [أ] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ [ب] فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٢) [أ] إِنَّ *الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ* [ب] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

المقطع الثالث (١٣ – ٢٢). **علم الله المحيط بكل شيء.** جزآن.

(١٣) [أ] وَأَسِرُّواْ قَولَكُم أَوِ ٱجهَرُواْ بِهِۦٓ [ب] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٤) [أ] أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ [ب] وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ (١٥) [أ] هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرضَ ذَلُولًا (عنصر وصلي) [ب] فَامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِۦ [ج] وَإِلَيهِ ٱلنُّشُورُ

(١٦) [أ] ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ [ب] أَن يَخسِفَ بِكُمُ ٱلأَرضَ (عنصر وصلي) فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٧) [أ] أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرسِلَ عَلَيكُم حَاصِبًا فَستَعلَمُونَ كَيفَ نَذِيرِ (عنصر وصلي)

(١٨) [أ] وَلَقَد كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم [ب] فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ (عنصر وصلي) (١٩) [أ] أَوَلَم يَرَواْ إِلَى ٱلطَّيرِ فَوقَهُم [ب] صَافَّات وَيَقبِضنَ [ج] مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَنُ (عنصر وصلي) [د] إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيءِۭ بَصِيرٌ

(٢٠) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي هُوَ جُند لَّكُم [ب] يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحمَنِ (عنصر وصلي) [ج] إِنِ ٱلكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢١) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي يَرزُقُكُم [ب] إِنْ أَمسَكَ رِزقَهُۥ [ج] بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّ وَنُفُورٍ (٢٢) [أ] أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجهِهِۦٓ أَهدَىٰٓ [ب] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاط مُّستَقِيم

⇦ الروابط بين البركة الاستهلالية (السلسلة الفرعية الأولى، ١- ٢) والسلسلة الفرعية الثانية:

- خلق الله كل شيء: الموت والحياة (٢أ) / / السماوات والنجوم (٣أ و٥أ)، النار (٥ج)، ٦أ)،
- يختبر الله البشر بحسب ***أحسن*** أعمالهم (٢ب) / / الذي يمشي على صراط مستقيم ***أهدى*** (٢٢) – عناصر طرفية للسلسلة الأولى من السورة.

- الله الغفور (٢ج) // الذين يخشون ربهم سيحصلون على مغفرته (١٢أ).

⇦ يربط العديد من العناصر الوصلية المترادفة مختلف الوحدات البلاغية:

- بين المقطع الأول والسلسلة الفرعية الثانية وبداية المقطع التالي:
  - عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥ج) // عَذَابُ جَهَنَّمَ (٦أ)
- بين نهاية القسم الأول من جهة وبداية القسم المحوري الموافق:
  - إِذَا أُلْقُوا فِيهَا (٧أ) // كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ (٨ب)
- بين نهاية القسم المحوري وبداية القسم التالي:
  - أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨د) // قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ (٩ب)
- بين نهاية القسم الأول من المقطع الثالث وبداية القسم المحوري التالي:
  - هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولًا (١٥أ) // أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ (١٦ب)
- بين نهاية نفس القسم المحوري وبداية القسم التالي:
  - كَيْفَ نَذِيرِ (١٧أ) // فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨ب)
- بين نهاية الجزء الأول من المقطع الثالث وبداية الجزء التالي:
  - مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحمَنُ (١٩ج) // أَمَّن هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُم يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحمَنِ (٢٠أ-ب)

⇦ يؤطر المقطع الثاني عناصر متضادة تقليدية: الذين كفروا ↔ الذين يخشون:

- وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ (٦أ) ↔ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ (١٢أ)

⇦ يؤطر الجزء الأول من المقطع الثالث عبارات مترادفة:

- إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣ب) // إِنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ (١٩د).

ثانيًا: السلسلة الثانية (٢٣- ٣٠)

الآيات: ٢٣- ٢٤، خلق الله البشر، ذرأهم، وحشرهم.

---

(٢٣) [أ] قُل هُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُم

[ب] وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ

[ج] – قَلِيلًا مَّا تَشكُرُونَ — فاصلة (ـــــُون)

قُل هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُم فِي ٱلأَرضِ

وَإِلَيهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) — فاصلة (ـــــُون)

يتضمّن القسم (٢٣- ٢٤) فرعين بينهما توازٍ وينتهيان بفاصلة جديدة (ـــون). ويتشاركان فيما بينهما في العناصر البدئية: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي﴾ (٢٣أ، ٢٤أ) متبوعًا بفعل حركة إلهي مفعوله «البَشر»: ﴿أَنشَأَكُم﴾/ ﴿ذَرَأَكُم﴾.

الفرع الأول: يتناول الفرع خلق الله للبَشر بقدراتهم (السمع، البصر والفؤاد، ٢٣ب)، وينتهي بلوم البشر على قلّة شكرهم للخالق (مستتر) (٢٣ج).

يضع الفرع الثاني توازيًا بين نَشْر الله للبَشر وبثهم على كل الأرض (٢٤أ) وحشره لهم إليه (يوم القيامة والحساب، ٢٤ب) – وهما حركتان بشريتان متضادتان.

يمكننا كذلك تصور نظمٍ محوري من الصيغة (أ ب أ') بوضع اللوم الموجّه للمخاطبين في المركز: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

(٢٣) [أ] قُلْ هُوَ الَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ
[ب] وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَارَ وَٱلأَفئِدَةَ
[ج] – قَلِيلًا مَّا تَشكُرُونَ

(٢٤) [أ] قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلأَرضِ
[ب] وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

ويُعتبر فعل الأمر «قُل» المكرر أكثر من مرة في هذه السلسلة الثانية من السورة أمرًا من الله إلى النبي النذير كي ينقل الرسالة إلى الناس («ـكم» أو «لكم» في كلّ من المفاصل: ٢٣أ، ب، ج، ٢٤أ، ب).

الآيات: ٢٥ – ٢٧: مناقشة حول وقت الحساب

(٢٥) [أ] وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا ٱلوَعدُ
[ب] إِن كُنتُم صَادِقِينَ — فاصلة (ـــين)

(٢٦) [أ] قُلْ إِنَّمَا العِلمُ عِندَ اللهِ
[ب] وَإِنَّمَا أَنَا نَذِير مُّبِين — فاصلة (ـــين)

(٢٧) [أ] فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلفَة
[ب] سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ
[ج] وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ — فاصلة (ـــون)

يتألف القسم من ثلاثة أفرع. الفرعان الأوّلان من النوع الخطابي: يتضمّنان سؤالًا طرحه الكافرون المشكّكون على النذير (٢٥أ-ب)، متبوعًا بإجابة هذا الأخير (٢٦أ-ب).

أمّا الفرع الثالث فهو فرع سردي ويصف بؤس الكافرين مع قرب يوم الحساب.

يرتبط الفرعان الطرفيان بصورة وثيقة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ (٢٥أ // ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً﴾ (٢٧أ).

يبدو أن القسم يتشكّل بصيغة محورية (أ ب أ') يعرض المحور جملة عقدية (انظر القانون الخامس للوند) حول علم يوم (القيامة) الذي لا يعلمه إلا الله، وحول الدور المحدود لـ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ (غير مسمى).

فيما يتعلق باللفظ «مبين» كتبت آن سيلفي بواليفو: **مبين** هو اسم فاعل من الفعل المزيد بالرباعي «بيّن» ومعناه «الذي يبين»، «المبيّن»، «واضح» - للتيسير- «الذي يبين بكل وضوح»، «الذي يشرح بوضوح» أو «الذي يكشف»[1].

(1) A. S. Boisliveau, Le Coran par lui-même, p. 142.

تستشهد آن سيلفي كذلك بـ(Joseph Dichy) الذي يرى أنّ «مبين» «تعبر عن فكرة أنّ "الوضوح" ناتج عن حدث...، وهو حدَث التلفّظ بالقرآن، أي تلفّظه الخاصّ به. فالوضوح كحالة ناتجة عن =

الآيات: (٢٨- ٣٠).

سوف نحلل الآيات بشكل منفصل ثم بشكل إجمالي.

الآية ٢٨. موت أو حياة النبي؛ خصومه يعانون عذابًا أليمًا.

---

(٢٨) [أ] قُل أَرَءَيتُم

[ب] إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ
[ج] أَوْ رَحِمَنَا

[د] فَمَن يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ أَلِيم

يمتدّ الخطاب في الآية (٢٨) على جملة طويلة استفهامية معقّدة، مقسّمة إلى ثلاثة أفرع. فرعان أحاديًّا المفصل (٢٨أ، د) يؤطران فرعًا ثنائي المفاصل متضادّ:

[ب] إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ ↔ [ج] أَوْ رَحِمَنَا (= تركنا أحياء).

يقدِّم الفرع المحوري (٢٨ب-ج) فعلين إلهيين موجّهين للنبي وأصحابه: إمّا يميتهم، وإمّا يتركهم أحياء. ينتقل النصّ فجأة من المفرد إلى

=

الرسالة إنما يتولد من الرسالة ذاتها». ومِن هنا، ودائمًا وفقًا لديشي، «فإنّ الحاجة إلى ممارسة تفسيرية وإلى العلم (...) اللازم لتأويل القرآن، يُشار إليها إذن في صلب النصّ ذاته».

الجمع (وهو أسلوب الالتفات). وبهذا يلتقي آخر السورة بأوّلها، حيث يؤكّد أن اللهَ خلقَ الموت والحياة (آية ٢).

يملي اللهُ إلى النبي النذير خطابًا موجّهًا إلى خصومه: مهما يكن ما سيحلّ به بمشيئة الله، موت أو حياة، فلن يفلت الكافرون من عذاب أليم.

الآية ٢٩. الإيمان والكفر

---

(٢٩) [أ] قُل هُوَ الرَّحمَٰنُ

[ب] ءَامَنَّا بِهِ

[ج] وَعَلَيهِ تَوَكَّلنَا

[د] فَستَعلَمُونَ

[ه] مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِين

يملي اللهُ خطابًا جديدًا بعد الأمر «قُل» الموجّه للنبي. وينقسم إلى فرعين: الأول: شهادة إيمانية من الصيغة (أ ب ب′)؛ والثاني: يتعلق بهؤلاء الذين هم في ضلالٍ مبين. يشكل الفرعان تضادًّا بحيث يقابل بين «الذين آمنوا بالله، الرحمن، وتوكلوا عليه» (٢٩ب–ج) و«الذين هم في ضلالٍ مبين» (هـ). هذه المقابلة تستدعي كذلك الآية ٢: ﴿لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا﴾ (المؤمنين والكافرين الضالين).

الآية ٣٠. مَثَلٌ ختامي

---

(٣٠) [أ] قُلْ أَرَءَيتُم

[ب] إِنْ أَصبَحَ مَاؤُكُم غَورًا

[ج] فَمَن يَأتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينِ

هذه الآية خطابٌ ختامي يمليه الله على النذير لينقل الرسالة إلى المشكّكين في شكلِ مثلٍ قصير: إذا تركتم ماءكم يغور في أعماق التربة، فمَن الذي سيأتيكم بماء جارٍ؟ بمعنى آخر: إذا رفضتم كلمة النجاة الموجّهة إليكم، فمَن سيبلِّغها لكم مرة أخرى[1]؟

هذا الخطاب الموجز المؤلّف من فرع ثلاثي المفاصل مبني بكلّ وضوح من الصيغة (أ ب ب′) فيه الفرعان (ب ب′) معانيهما متقابلة: مقدمة ↔ خاتمة.

ربما يكون هذا المثال في الأصل هو قول مأثور عربي ذو صِلة بتجربة الحياة في الصحراء حيث يتطلّب حِفْظ الماء عناية بالِغة بسبب ندرتها.

(١) ما ذكره المفسِّرون في هذه الآية هو أنها توبيخ للمشركين وتهديد لهم وإنكار عليهم بأنّ ماءهم إن صار غائرًا في الأرض، فمَن يستطيع أن يأتيهم بماء ظاهر على وجه الأرض، تراه عيونهم، ويستعملونه في شؤونهم، إنه لا أحد يستطيع ذلك إلا الله تعالى وحده، فعليهم أن يتوجّهوا إليه بالعبادة والشكر. (قسم الترجمات)

جملة الآيات: ٢٨- ٣٠

(٢٨) [أ] قُلْ أَرَءَيتُم

[ب] إِنْ أَهلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ

[ج] أَو رَحِمَنَا

[د] فَمَن يُجِيرُ ٱلكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ أَلِيم

---

(٢٩) [أ] قُل هُوَ ٱلرَّحمَنُ

[ب] ءَامَنَّا بِهِ

[ج] وَعَلَيهِ تَوَكَّلنَا

[د] فَستَعلَمُونَ

[ه] مَن هُوَ فِي ضَلَال مُّبِين

---

(٣٠) [أ] قُل أَرَءَيتُم

[ب] إِن أَصْبَحَ مَاؤُكُم غَورًا

[ج] فَمَن يَأتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ

تشكّل هذه الآيات الثلاث جزءًا يتألف من ثلاثة أقسام مرتبة في الصيغة (أ ب أ').

يتردد القسمان الطرفيان (٢٨ و٣٠) بوضوح: حيث تبدأ بنفس الجملة: ﴿قُل أَرَءَيتُم﴾ (٢٨أ و٣٠أ)، وفي كل مرة تكون متبوعة بسؤال يتقابل فيه موقفان متضادان: الموت ↔ حياة النبي وأصحابه (٢٨ب-ج).

يتضمّن القسم المحوري كذلك تضادًّا بين شهادة الإيمان من الذين آمنوا (٢٩ب) ↔ والذين هم في ضلالٍ مبين (٢٩ج).

تتمّ ترجمة التعبير «أو رحمنا» في المفصل (٢٨ج) عادةً بـ« ou que (Dieu) aie pitié de nous»: [بمعنى: أسبغ اللهُ علينا رحمته] وهو مشتقّ من الجذر (ر ح م). ونجد في المفصل التالي (٢٩أ) اسم الله «الرحمن» المشتق من نفس الجذر والذي يترجم عادةً إلى (le Très Miséricordieux). ويترجمه بعضهم بـ(le Bienfaiteur) كما أشرنا إلى ذلك مرات عدّة سابقًا. يمكن للمفصل (٢٨ج) أن يترجم كذلك كما يأتي: (ou qu’ Il [Dieu] nous accorde sa grâce.) بمعنى: «يبقينا الله أحياء».

جملة السلسلة الثانية (٢٣- ٣٠)

لا تتضمّن السلسلة إلا مقطعًا واحدًا من ثلاثة أجزاء: ٢٣- ٢٤، ٢٥- ٢٧ و٢٨- ٣٠.

(٢٣) [أ] قُل هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُم [ب] وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَارَ وَٱلأَفئِدَةَ [ج]- قَلِيلًا مَّا تَشكُرُونَ

(٢٤) [أ] قُل هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُم فِي ٱلأَرضِ [ب] وَإِلَيهِ تُحشَرُونَ

(٢٥) [أ] وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا ٱلوَعدُ [ب] إِن كُنتُم صَادِقِينَ

(٢٦) [أ] قُل إِنَّمَا ٱلعِلمُ عِندَ اللهِ [ب] وَإِنَّمَا أَنَا نَذِير مُّبِين

(٢٧) [أ] فَلَمَّا رَأَوهُ زُلفَة [ب] سِيئَت وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ [ج] وَقِيلَ هَذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ

(٢٨) [أ] قُل أَرَءَيتُم [ب] إِن أَهلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ [ج] أَو رَحِمَنَا [د] فَمَن يُجِيرُ ٱلكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ أَلِيم

(٢٩) [أ] قُل هُوَ ٱلرَّحمَنُ [ب] ءَامَنَّا بِهِۦ [ج] وَعَلَيهِ تَوَكَّلنَا [د] فَستَعلَمُونَ [ه] مَن هُوَ فِي ضَلَال مُّبِين

(٣٠) [أ] قُل أَرَءَيتُم [ب] إِن أَصبَحَ مَاؤُكُم غَورًا [ج] فَمَن يَأتِيكُم بِمَاء مَّعِين

بما أننا قد قمنا بتحليل هذه الأجزاء الثلاثة بشكل منفصل من قبل أعلاه، فسوف نركّز فيما يأتي على الإشارة إلى مؤشرات النَّظْم على مستوى المقطع، وبشكل مبدئي على الروابط بين الأجزاء.

وكما لاحظنا سابقًا، تتميز هذه السلسلة من جهة بالاستخدام المتكرّر لفعل الأمر «قُل» في كلّ جزء، ومن جهة أخرى بفواصل مختلفة عن تلك التي في السلسلة الأولى. وقد لاحظنا كذلك أن كلّ جزء من الأجزاء الثلاثة للسلسلة الثانية مؤلّف بحسب الصيغة (أ ب أ').

لنحلّل إذًا تماسك السلسلة ولنبدأ بالجزء المحوري (٢٥- ٢٧). يمكننا هنا التحقّق من قواعد النَّظْم المحوري التي تنصّ على أن بداية المحور ترتبط بما سبقها عن طريق «عنصر وصلي». وعليه فإن جملة: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ (٢٥أ) تأخذ معناها من العلاقة مع إعلان الحشر والبعث للحساب الذي يسبق المحور: ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ (٢٤ب). وتجد نهاية المحور صدًى فيما بعد المحور كما هي الحال هنا بالتضاد في: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (٢٧ب) // ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (٢٨د).

نجد في الفرع المحوري (٢٦أ-ب) من الجزء المحوري (٢٥-٢٧) أولًا جملة عقدية تذكر لفظ الجلالة «الله» (تعتبر أسماء الله في المحور من سمات القانون الخامس للوند). يستخدم لفظ الجلالة كعنصر وَصْلي في بداية الجزء الثالث الذي يكرره (وهو الاسم الذي لا نجده في أيّ مكان آخر في السلسلة الثانية ولا في السلسلة الأولى إلا في الآية ٩). يتتابع الخطاب النبوي بعد ذلك في (٢٦ب) بالإعلان عن الهوية: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾. وسوف نرى لاحقًا الدور المهمّ الذي يؤديه هذا الإعلان في جملة السورة.

بعد أن حلّلنا بنية السورة على مختلف مستوياتها النصّية، سوف نبدأ الآن في فحص بنيتها على المستوى الأعلى، مستوى السورة ككلّ. ولن نبرز كلّ التوافقات النصّية المدروسة سابقًا ولكن فقط العناصر الوصلية التي تربط الوحدات النصّية فيما بينها. وسوف نأخذ في الاعتبار كذلك التوافقات بين بداية السورة (١ – ٢) ونهايتها (٢٨ – ٣٠)، وكذلك سؤال محورها. في الواقع أطراف السورة ومحورها أساسية من أجل تماسكها وبالتالي تفسيرها.

يمكن للوحة مختصرة لنظم السورة أن تكون مفيدة للقارئ إذا أراد تبين طريقه بسهولة في اللوحة النصّية الكاملة التي تليه.

السلسلة الأولى (١ – ٢٢): ***السلسلة الفرعية الأولى (١ – ٢)***، بركة استهلالية، ابتلاء البشر

السلسلة الفرعية الثانية: المقطع الأول (٣– ٥)، الخلق

المقطع الثاني (٦– ١٢)، السمعيات، **النذير**

المقطع الثالث (١٣ – ٢٢)، الله العليم

السلسلة الثانية (٢٣ – ٣٠): ***الجزء الأول (٢٣ – ٢٤)***، الخلق والبعث

الجزء الثاني (٢٥ – ٢٧)، **نذير** مبين

الجزء الثالث (٢٨ – ٣٠)، ملخّص ختامي

بنية جملة السورة

السلسلة الأولى (١ – ٢٢)

السلسلة الفرعية الأولى (١ – ٢)، بركة استهلالية لله، مقطع يتضمّن قسمًا واحدًا.

(١) [أ] تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ [ب] وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ (٢) [أ] ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوتَ وَٱلْحَيَوٰةَ (عنصر وصلي) [ب] لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحسَنُ عَمَلًا [ج] وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ

السلسلة الفرعية الثانية (٣– ٢٢). تتألف من ثلاثة مقاطع.

المقطع الأول. خلق: خلق الله السماوات والنجوم والنار. وهو جزء ذو قسمين.

(٣) – [أ] ٱلَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَاوَاتٍ (عنصر وصلي) طِبَاقًا [ب] مَّا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحمَنِ مِن تَفَاوُتٍ [ج] فَارجِعِ ٱلْبَصَرَ [د] هَل تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٤) [أ] ثُمَّ ٱرجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ [ب] يَنقَلِب إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا [ج] وَهُوَ حَسِيرٌ (٥) [أ] وَلَقَد زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَابِيحَ [ب] وَجَعَلنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ [ج] وَأَعتَدنَا لَهُم عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (عنصر وصلي)

المقطع الثاني (٦ – ١٢). **السمعيات**: الكافرون في النار، المتقون في الجنة. ثلاثة أجزاء

(٦) [أ] وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ (عنصر وصلي) [ب] – وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧) [أ] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا (عنصر وصلي) [ب] سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا [ج] وَهِيَ تَفُورُ (٨) [أ] تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

(٨) [ب] كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ (عنصر وصلي) [ج] سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا [د] أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (عنصر وصلي)

(٩) – [أ] قَالُوا بَلَىٰ [ب] قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ (عنصر وصلي) [ج] فَكَذَّبْنَا [د] وَقُلْنَا [ه] مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ [و] إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (١٠) [أ] وَقَالُوا [ب] لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ [ج] مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) [أ] فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ [ب] فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٢) [أ] إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ [ب] لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

المقطع الثالث (١٣ - ٢٢). **علم الله المحيط بكل شيء.** جزآن.

(١٣) [أ] وَأَسِرُّواْ قَولَكُم أَوِ ٱجهَرُواْ بِهِۦٓ [ب] إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٤) [أ] **أَلَا يَعلَمُ** مَن خَلَقَ [ب] وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ (١٥) [أ] ***هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرضَ ذَلُولًا*** (عنصر وصلي) [ب] فامشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزقِهِۦۖ [ج] وَإِلَيهِ ٱلنُّشُورُ

(١٦) [أ] ءَأَمِنتُم ***مَّن*** فِي ٱلسَّمَاءِ [ب] ***أَن يَخسِفَ بِكُمُ ٱلأَرضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ*** (عنصر وصلي) (١٧) [أ] أَم أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ [ب] أَن يُرسِلَ عَلَيكُم حَاصِبًا [ج] فَستَعلَمُونَ كَيفَ نَذِيرِ (عنصر وصلي)

(١٨) [أ] وَلَقَد كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم [ب] فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ (عنصر وصلي) (١٩) [أ] أَوَلَم يَرَواْ إِلَى ٱلطَّيرِ فَوقَهُم [ب] صَافَّات وَيَقبِضنَ [ج] مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَنُۚ (عنصر وصلي) [د] إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيءِۭ بَصِيرٌ

(٢٠) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُم [ب] يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحمَنِۚ (عنصر وصلي) [ج] إِنِ ٱلكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢١) [أ] أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي يَرزُقُكُم [ب] إِنْ أَمسَكَ رِزقَهُۥۚ [ج] بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّ وَنُفُورٍ (٢٢) [أ] أَفَمَن يَمشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجهِهِۦٓ أَهدَىٰٓ [ب] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاط مُّستَقِيم

السلسلة الثانية، مقطع من ثلاثة أجزاء

(٢٣) [أ] قُل هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم [ب] وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَارَ وَٱلأَفئِدَةَ [ج] – قَلِيلًا مَّا تَشكُرُونَ (٢٤) [أ] قُل هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُم فِي ٱلأَرضِ [ب] وَإِلَيهِ تُحشَرُونَ (عنصر وصلي)

(٢٥) [أ] وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا ٱلوَعدُ (عنصر وصلي) [ب] إِن كُنتُم صَادِقِينَ (٢٦) [أ] قُل إِنَّمَا ٱلعِلمُ عِندَ اللهِ [ب] وَإِنَّمَا أَنَا نَذِير مُّبِين (٢٧) [أ] فَلَمَّا رَأَوهُ زُلفَة [ب] سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ (عنصر وصلي) [ج] وَقِيلَ هَذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ

(٢٨) [أ] قُل أَرَءَيتُم [ب] إِن أَهلَكَنِيَ ٱللهُ وَمَن مَّعِيَ [ج] أَو رَحِمَنَا [د] فَمَن يُجِيرُ ٱلكَافِرِينَ (عنصر وصلي) مِن عَذَابٍ أَلِيم (٢٩) [أ] قُل هُوَ ٱلرَّحمَنُ [ب] ءَامَنَّا بِهِۦ [ج] وَعَلَيهِ تَوَكَّلنَا [د] فَستَعلَمُونَ [ه] مَن هُوَ فِي ضَلَال مُّبِين (٣٠) [أ] قُل أَرَءَيتُم [ب] إِن أَصبَحَ مَاؤُكُم غَورًا [ج] فَمَن يَأتِيكُم بِمَاء مَّعِين

النظم

⇦ *العناصر الوصلية بين الوحدات النصية المتوافقة*

- (٢أ) ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلمَوتَ وَٱلحَيَوٰةَ﴾ // (٣أ) ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَمَاوَات﴾. عناصر وصلية بين السلسلتين الفرعيتين.
- (٥ج) ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ // (٦أ) ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾، عناصر وصلية بين المقطعين الأول والثاني من السلسلة الفرعية الثانية.
- (٧أ) ﴿إِذَا أُلقُوا فِيهَا﴾ // (٨ب) ﴿كُلَّمَا أُلقِيَ فِيهَا فَوجٌ﴾. عناصر وصلية بين بداية الجزء المحوري والمفصل الذي يسبق المحور.

- (٨د) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ // (٩أ) ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾، عناصر وصلية بين نهاية الجزء المحوري ومفصل يلي المحور.
- (١٥أ) ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولًا﴾ // (١٦أ) ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخسِفَ بِكُمُ ٱلأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾، عناصر وصلية: تضاد بين بداية محور وما يليه.
- (١٧ج) ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ // (١٨ب) ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، عنصر وصلي بين نهاية قسم مركزي وما يليه.
- (١٩ج) ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحمَنُ﴾ // (٢٠أ) ﴿أَمَّن هَذَا ٱلَّذِي هُوَ جُند لَّكُم يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحمَنِ﴾، عناصر وصلية ترادفية بين نهاية جزء وبداية الجزء الذي يليه.

قاعدة: تربط العناصر الوصلية بين محور وما يسبقه و/ أو ما يليه. وهي سمة من سمات المحاور في النَّظْم المحوري واضحة بصفة خاصة في هذه السورة.

⇦ ***العناصر البدئية للوحدتين المتوافقتين***

﴿هُوَ ٱلَّذِيَ أَنشَأَكُم﴾ في بداية السلسلة الثانية (٢٣أ) مرادف ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ المكررة في بداية السلسلة الأولى (٢أ) و(٣أ).

⇦ ***العناصر الطرفية لجملة السورة***

(٢أ) ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلمَوتَ وَٱلحَيَوٰةَ﴾ // (٢٨ب) ﴿إِنْ أَهلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ أَو رَحِمَنَا﴾ (= أي تركَنا أحياء).

⇦ *العناصر المركزية للسلسلتين*

(٨د) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ // (٢٦ب) ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِير مُّبِين﴾.

تمتلك الأنظمة الثلاثية بشكلٍ عام مركزًا واحدًا، كما هي الحال هنا، السلسلة الفرعية (٣- ٢٢) والسلسلة (٢٣- ٣٠). في حين أنه سيكون من «الطبيعي» أن يقدم التحليل البلاغي مركزًا لجملة السورة وهو على ما يبدو ليس الحال هنا. ونقترح إذًا موقفًا من الندرة بمكان: «نظم ثنائي المحور أو المركز»[١]. هذا النوع من البنية يمكن أن يتصور على شكل بيضاوي كما يأتي:

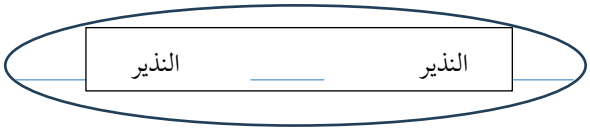

⇦ ثلاثة أمثال قصيرة في شكل سؤال تظهر في نهاية الوحدات البلاغية مظللة باللون الرمادي:

١) الطيور التي يمسكها الرحمن في طيرانها (١٩أ-ج نهاية الجزء المحوري للمقطع الثالث).

٢) الذي يمشي مكبًّا والذي يمشي مستقيمًا (٢٢، نهاية السلسلة الأولى).

(١) يعود الفضل في اكتشافه، في إطار التحليل البلاغي للكتاب المقدس، إلى "فرانشيسكو غرازيانو" (Francesco Graziano)، أستاذ التفسير الكتابي في الجامعة الحبرية الغريغورية في روما، وخليفة "رولان مينيه" (Roland Meynet).

٣) الماء الغور والماء المعين (٣٠، نهاية السلسلة الثانية ونهاية السورة).

- ⇦ يمكن كذلك ملاحظة التوافقات الترادفية: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩و، في نهاية الجزء المحوري للمقطع الثالث) // ﴿إِنِ الكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠ج، في نهاية المقطع الرابع). يمكن أن نرى فيه تطبيقًا للقانون الثالث للوند (التوافق بين محور النظام وأحد أطرافه).
- ⇦ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ تؤطر جملة السلسلة الفرعية الثانية في أجزائها الطرفية (٣ب و١٩ج و٢٠ب) وفي نهاية السلسلة الثانية (٢٩أ).
- ⇦ الإشارات المترادفة للبعث تربط بين بداية السلسلة الثانية (﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٢٤ب) بالأولى: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢ب) و﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (١٥د).
- ⇦ ***العلاقات الدلالية بين السلسلتين***

تكرر السلسلة الثانية باختصار موضوعات مختلفة من السلسلة الأولى سواء عن طريق الترادف (المشار إليه أعلاه بالعلامة / /)، أو عن طريق التضاد (↔):

- تبدأ السلسلتان بذكر ***خلق*** الله:
  - للموت والحياة (٢أ)، للسماوات والنجوم (٣أ، ٥أ)، والنار (٥ج). / /
  - لسَمْع البشر وأبصارهم وأفئدتهم (٢٣أ-ب)
- ويتبع ذلك نصوص غيبية متضادة،
  - يُقذف الكافرون في جهنم (٦-٧) ↔

- يُحشر البَشر للحساب (٢٤أ-ب)

- علم الله
  - بأسرار القلوب (١٣ب)//
  - بيوم الحساب (٢٥أ، ٢٦أ)

- تدخّل *النذير*
  - (٨د) (٩ب)// (٢٦ب)

- *عذاب جهنم للذين كفروا* بربهم:
  - وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ (٦أ)//
  - فَمَن يُجِيرُ الكافِرِينَ مِن عَذَابٍ أَلِيم (٢٨د)

- *الإيمان* وخشية الله، الرحمن:
  - إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢أ-ب)//
  - قُل هُوَ ٱلرَّحمنُ ءَامَنَّا بِهِۦ [ج] وَعَلَيهِ تَوَكَّلنَا (٢٩أ-ب)

- تبدأ السلسلتان بعناصر بدئية تذكر خَلق الله لواقع البَشر:
  - ٱلَّذِي خَلَقَ *ٱلمَوتَ وَٱلحَيَوٰةَ* (٢)//
  - هُوَ ٱلَّذِيَ أَنشَأَكُم وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمعَ وَٱلأَبصَارَ وَٱلأَفئِدَةَ (٢٣)

- تختم السلسلتان بسؤال باعتباره عناصر نهائية:
  - الأول عبارة عن ***جملة حكمة***: أَفَمَن يَمشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجهِهِۦٓ أَهدَى أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاط مُّستَقِيم (٢٢)//

- الثاني عبارة عن *مثل* قصير يضع القارئ/ السامع أمام اختيار حاسم: ترك ماء الإنذار يضيع سدى أو الاعتماد على المنذر لنيل الماء الحي الكامن في رسالة المنذر[1]:

(٣٠ب) إِن أَصبَحَ مَاؤُكُم غَورًا [ج] فَمَن يَأتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ.

السياق القرآني

نجد بعض التوافقات بين عناصر السورة وبعض عناصر النصوص القرآنية الأخرى في الكتاب الكلاسيكي لـ(Rudi Paret): « Der Koran. Kommentar und Konkordanz, p. 483-484».

بتحليل السياق القرآني يمكننا الكشف عن علاقة قائمة على المجاز والشرح بين الآية ٢٢ من سورة الملك والآيتين الأخيرتين (٦- ٧) من سورة الفاتحة. حيث يتناول النصان الموضوع التقليدي للطريقين.

٦٧ (٢٢أ) أَفَمَن يَمشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجهِهِۦٓ ***أَهدَى*** [ب] أَمَّن يَمشِي سَوِيًّا عَلَى ***صِرَاط مُّستَقِيم***

١ (٦) ٱهْدِنَا ***ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ***

(٧) صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ***ٱلضَّآلِّينَ***

(١) يريد المؤلّف القول بأنّ السامع إمّا أن يتعامل مع «الإنذار» الحاصل باعتباره أمرًا عاديًّا عابرًا فلا يعبأ به (كمن يترك الماء يسقط على الأرض ويضيع سدى)، أو أن يتصل بـ(المُنذِر) اتصالًا حقيقيًّا، فيتحول الإنذار عندئذ إلى (ماء حي) يغيّر كيانه ويمنحه حياة جديدة، وهذا معنى مغاير لِما ذكره المفسِّرون في الآية. (قسم الترجمات)

سياق تناص النصوص المقدسة

يحيل باول نوينكيرشن -ولديه الحقّ في ذلك- إلى الأناجيل الإزائية لمرقس (١٣، ٣٢) ومتّى (٢٤، ٣٦) لمعرفة **النهاية**، وهو العلم الخاصّ بالله وحده: «وحده الله يعلم متى يأتي الوعد (النهاية) هنا نجد إعادة لصيغة الأناجيل الإزائية التي تقول لعيسى أنّ الله وحده يعلم متى تأتي النهاية»[(١)].

«فأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ مَا مِن أَحَد يَعلمها، لَا مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، ولا الابن إِلاَّ الآبُ وَحْدَهُ»[(٢)] (مت ٢٤، ٣٦؛ مر ١٣، ٣٢).

ويكرّر نصًّا مهمًّا لحزقيال (٣، ١٧- ٢١) العنصر «نذير» أو «نذيري» للحديث عن النبي ورسالته أو رسالة الله (انظر «نذير»: سورة الملك، ٨، ٩، ١٧، ١٨، ٢٦)، وكذلك عناصر «حياة» و«موت»:

«(١٧) يا ابن الإنْسان، إني جعلتك رقيبًا لبيت إسرائيل. فاسمع الكلمة من فمي ***وأنذرهم*** عنّي. (١٨) فإذا قلت للشرير: إنك **تموت موتًا**، ***ولم تنذره؟*** أنت ولا تتكلم ***منذرًا*** الشرير بشرِّ طريقه **ليحيا**، فذلك الشرير **يموت** في إثمه، لكني من يدك أطلب دمه. (١٩) أمّا إذا ***أنذرت*** الشرير ولم يَتُب من شرِّه ومن طريقه

(1) P. Neuenkirchen, dans Le Coran des Historiens 4, au v. 25, p. 1917.

(٢) رجعنا في ترجمة آيات الكتب المقدّس إلى الترجمة العربية الآتية: الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ص١٠٤ (العهد الجديد). (المترجم)

الشرير، فهو **يموت** في إثمه، لكنك تكون قد خلّصت نفسك. (٢٠) وإذا رجع البار عن بره وأَثِمَ، فإني أجعل أمامه مَعْثَرَةً **فيموت**. لأنك لم ***تنذره***، **يموت** في خطيّته ولا يذكر ما عمله من البر، لكن من يدك أطلب دمه. (٢١) أمّا إذا ***أنذرت*** البار بأن لا يَخطأَ ولم يَخطإِ[١] البار، فهو **يحيا** حياة لأنه ***أنذر***، وأنت تكون قد خلصت نفسك»[٢].

يذكّر هذا النصّ لحزقيال بالخطاب الأخير لموسى إلى إسرائيل قبل موته في سفر التثنية ٣٠، ١٥- ٢٠:

«(١٥) انْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ **الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ**، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، (١٦) إذا سَمِعتَ إلى وصايا الرّب إلهك التي أنا آمُرُكَ بها اليوم، محبًّا الربّ إلهك وسائرًا في سُبله وحافظًا وصاياه وفرائضه وأحكامه، **تَحْيَا** وتكثرُ ويُبَارِكُكَ الرَّبُّ إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لترثها. (١٧) وإِنْ تَحَوَّلَ قَلْبُكَ ولم تسمع وابتعدت وسجدت لآلهة أُخرى وعبدتها، (١٨) فقد أُعلن لكُمُ اليَومَ أَنكُم **تهلكون** هلاكًا ولا تُطيلون أيامكم في الأرضِ الَّتِي أَنتَ عابر الأردن لتدخلها وترثها. (١٩) وقد أَشْهَدتُ عَلَيْكُمُ اليَومَ السَّمَاءَ والأَرْضَ بِأَنِّي قد جَعَلْتُ أَمامَكُمُ **الحَيَاةَ والموت**، البركة واللَّعْنَةَ. فَاختَرِ **الحَيَاةَ** لِكَي **تَحْيا** أَنتَ

(١) هكذا العبارة في النسخة التي نقلت عنها. (المترجم)

(٢) الكتاب المقدس، دار المشرق، ص١٧٨٠ (العهد القديم). (المترجم)

ونَسْلُكَ، (٢٠) مُحِبًّا الرَّبَّ إِلهَكَ وَسامِعًا لِصَوته ومتعلقًا به؛ لأَنَّ به حياتك وطول أَيَّامِكَ، فَتُقِيمُ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يُعطيهم إيَّاها»[(١)].

وبصفتهما نذيرين، يعرض النبيّان على قومهما الاختيار بين الحياة والموت.

التشابه بين المثل النهائي في السورة (آية ٣٠) وبين مقابلة عيسى مع المرأة السامرية في إنجيل يوحنا، الفصل الرابع، وقد أشير إليه سابقًا. الترجمة المسكونية للكتاب المقدس (TOB, Cerf, Paris, 1973) في حاشيتها تعقيبًا على الحاشية رقم ١٠:

إنّ المقابلة بين المياه الراكدة (أو الميتة) والمياه الجارية (أو الحية) كانت أمرًا كلاسيكيًّا (إرميا٢، ١٣). ففي سفر (إرميا ٢، ١٣) نقرأ بالفعل: «لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي *أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ*، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ آبَارًا، *آبَارًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً*». وهو ما تم تفسيره بعد ذلك بقليل في الآيتين (٢، ١٦- ١٧): «وَبَنُو نُوفَ وَتَحْفَنِيسَ قَدْ شَجُّوا هَامَتَكِ أَمَا صَنَعْتِ هَذَا بِنَفْسِكِ، *إِذْ تَرَكْتِ الرَّبَّ إِلَهَكِ حِينَمَا كَانَ مُسَيِّرَكِ فِي الطَّرِيقِ؟*».

(١) الكتاب المقدس، دار المشرق، ص٤٠٥ (العهد القديم). (المترجم)

هذه النصوص مرتبطة بالأخرى فيما يتعلّق بالنذير وإنذاره، تجعلنا نفهم بكلّ وضوح أنّ الماء الذي يضيع في الأرض (في سورة الملك، ٣٠)، يعني إنذار النذير الذي رفضه الكافرون، في حين أنه لن يستبدل به ماءً حيًّا لإنذار جديد.

يمكننا كذلك التفكير في المقابلة بين عيسى والمرأة السامرية في إنجيل يوحنا (٤، ٤ – ١٥):

«[...] فجاءت امرأة مِنَ السَّامِرَةِ تَستَقي. فقال لها يسوع: «اسقيني». [...] فقالت له المرأة السامرية: «كيف تسألني أَن أَسقِيكَ وأنتَ يهودي وأنا امرأة سامرية؟» [...] أجابها يسوع: «لو كنتِ تَعرِفينَ عَطَاءَ الله وَمَن هُوَ الَّذِي يقول لك: اسقيني، لَسَأَلتِه أَنتِ فأعطاك *ماء* حيًّا». قالتْ له المرأة: «يا رب، لا دَلو عِندَكَ، *والبئر عميقة*، فَمِن أينَ لَكَ *الماء*، هل أنت أَعظَمُ مِن أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه وماشيته؟» أجابها يسوع: «كُلُّ مَن يَشْرَبُ مِن هذا الماء يعطشُ ثانية، وأَمَّا الَّذِي يَشْرَبُ مِنَ *الماءِ الذي أعطيه* أنا إياه فَلَن يَعطَشَ أَبدًا، بل *الماء الذي* أُعطِيهِ إِيَّاهُ يصير فيه *عين ماء* يَتَفَجَّرُ حَيَاةً أَبَدِيَّة»[(١)].

تفسير

بعد التحليل المتعمق للنصّ، لا يبقى لنا إلا تحرير الرسالة الأساسية للسورة الذي يسميها بعض المفسّرين المسلمين المحدثين «عمود» أو «ركن» السورة. بعبارة أخرى، كيف يمكن التعبير عن معنى السورة من خلال بنيتها؟

(١) الكتاب المقدس، دار المشرق، ص٢٩٨ – ٢٩٩ (العهد الجديد). (المترجم)

قاعدة: «يجب أن ينبثق التفسير قدر المستطاع عن العلاقات المختلفة بين عناصر نظام بلاغي أو ربما بين القرآن ونصّ سابق «يعيد تفسيره» وتكييفه وفقًا لنظرته الدينية (العقدية) الخاصة» (في نظم القرآن: ص٢٢٥).

ينكشف معنى النصّ بشكلٍ عام وقبل كلّ شيء في أطرافه ومحوره (أو محاوره، كما في النَّظْم ذي المركزَيْن كما هي الحال هنا). وهو ما عبّر عنه لوند في «قانونه» الثالث لنظم نصوص الكتاب المقدّس والقرآن: «تتوزع الأفكار المتطابقة غالبًا بطريقةٍ ما حيث يمكن ظهورها في أطراف أو محور النظام، وليس في أيّ مكان آخر في النظام». (في نظم القرآن: ص١٢٤).

فلنقارن بين الآيتين البدئيتين للسورة (١ – ٢) والنهائيتين (٢٩ – ٣٠).

أ– (١) [أ] تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ (٢) **ٱلَّذِي خَلَقَ** ٱلْمَوتَ وَٱلْحَيَوٰةَ

ب– [ب] *لِيَبْلُوَكُم*

ج– [ج] **أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلًا**

د– [د] وَهُوَ *ٱلعَزِيزُ ٱلغَفُورُ*

د'– (٢٩) [أ] قُل *هُوَ ٱلرَّحمنُ*

ج'– [ب] **ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيهِ تَوَكَّلنَا**

ب–' [ج] *فَسَتَعلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ*

أ'– (٣٠) [أ] قُل أَرَءَيتُم إِن أَصبَحَ مَاؤُكُم غَورًا **فَمَن** يَأتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ

إذا قُرئت هاتان المجموعتان من الآيات على التوالي فستقدّمان محتوى مختلفًا. فالآيتان الأوليان (١- ٢) عبارة عن بركة استهلالية لله القدير الذي خلق الموت والحياة ليختبر الناس («كم (ضمير المخاطب في (ليبلوكم))» في تصرفاتهم. أمّا الآيتان الأخيرتان فهما عبارة عن شهادة إيمان (٢٩أ-ج) متبوعة بهؤلاء الذين يعارضونها بإصرارهم على المضيّ في الضلال المبين (٢٩د). يختتم النصّ بعد ذلك بمثلٍ قصير يقابل مجازيًّا بين الماء الغور والماء المعين.

لكن، بكلّ فضول، تترتب الأفكار المعروضة في كلتا الوحدتين في شكل بناء معكوس (أو «مرآة»)، كما نلاحظ في اللوحة أعلاه: أ ب ج د // د′ ج′ ب′ أ′. خلق الله القدير *للموت والحياة*، في بداية السلسلة الأولى (أ)، يتوافق مجازًا مع المثل الختامي للسلسلة الثانية: *الماء الغور والماء المعين* (أ′). الاختبار الموجّه لضمير المخاطب الجمع العام «كم» في الشعبة الأولى (ب) يجد إجابته في ضمير المخاطب الجمع في السلسلة الثانية، الذي يعترف بخطئهم عندما اختبروا (ب′). نتيجة الابتلاء التي ستكشف أيّ الأعمال أحسن (ج) تجد إجابتها في الإيمان بالله والتوكّل عليه في الوحدة الثانية (ج′). ختامًا، الصيغة العقدية التي تختم الناحية الأولى من البناء المعكوس (د) تتوافق مع تلك التي تستهلّ الجانب الثاني (د′).

ومَع ذلك، ثَمَّةَ كلمةٌ تثير الحيرة في الجملة الاستفهامية الوجيزة الختامية للسورة (أ′، ٣٠ج): مَن عساها تكون هذه الشخصية المجهولة الموكلة بالإتيان بالماء الحي؟ إنها بلا أدنى شكّ تلك الشخصية المذكورة في مركزي السلسلتين:

«النذير»، المكلَّف بتبليغ الإنذار الإلهي للبشرية، والـمُبشِّر بالجنة للمؤمنين والمُنذِر بالسعير للكافرين. إنه بوضوح الرسول القرآني، الذي يخاطبه الله مباشرة (بدليل أفعال الأمر المتكررة «قُلْ»)، آمرًا إياه بتبليغ الرسالة الإلهية إلى البشرية جمعاء[(١)].

هذه الأفكار المترابطة جميعُها هي التي تُشكّل الدلالة العامة للسورة، أو «ركنها» أو «عمودها»، لاستعارة تعبير بعض المفسِّرين المحدثين. وفي نهاية المطاف، يمكننا تمثيل البنية البيضاوية للسورة بشكلٍ أكثر دقة على النحو الآتي:

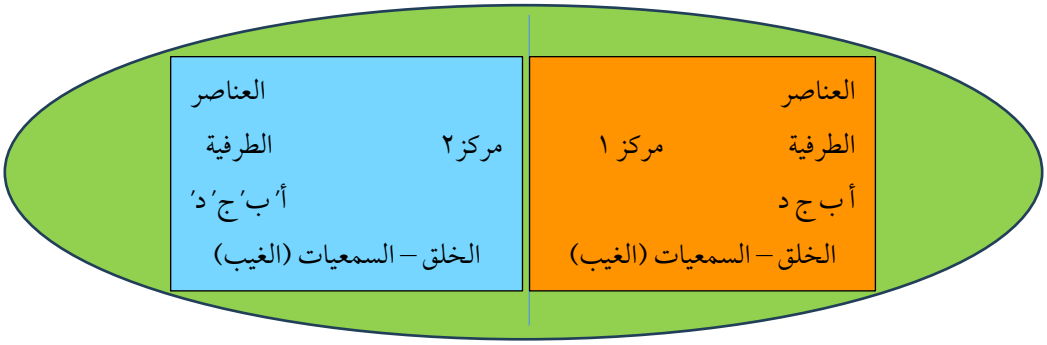

(١) على التفسير الذي أوردناه قبل للمفسرين فلا غموض ولا إشكال، فالكلام على الله ﷻ. يقول ابن عاشور: «والاستفهام في قوله: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ﴾ استفهام إنكاري، أي لا يأتيكم أحد بماءٍ معين: أي غير الله، واكتُفي عن ذِكْره لظهوره من سياق الكلام ومن قوله قبله: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: ٢٠] الآيتين». (قسم الترجمات)

ويُضاف إلى هذه البنية العديدُ من الأفكار والصور الأخرى: الخَلْق البديع للسماوات، وجهنم؛ وسقوط الشياطين في السّعير؛ وخَلْق جسد الإنسان ومَلكاته؛ والطيور المعتمدة في طيرانها على الله؛ والأرض الثابتة (الذّلول) التي يمكن السير عليها في أمان تامّ والتي تضمن أرزاق البَشر، رُغم أنهم قد يظلّون مهدّدين بالخسوف (الزلازل) أو العواصف، إلى آخر ذلك.

إنّ البنية العامة للسورة تعكس بكلّ تأكيد التعاليم الأُولى للرسول القرآني، في حِقْبة كان يواجه فيها هو ورعيله الأول من الصحابة تهديداتٍ من قبيلتهم، قريش، كما توحي بذلك الآية ٢٨ :

(٢٨) [أ] قُل أَرَءَيتُم [ب] إِن أَهلَكَنِيَ اللهُ وَمَن مَّعِيَ [ج] أَو رَحِمَنَا [د] فَمَن يُجِيرُ الكَافِرِينَ مِن عَذَابٍ أَلِيم

فهل يكون هذا الإقرار العقدي الوجيز في الآية ٢٩ هو جوهر التوحيد الذي وجّهه الرسول القرآني إلى قبيلته، قريش الوثنية في مكة، كما يرى المؤرِّخ الباحث في الدراسات الإسلامية «فريد دونر»؟ فوفقًا له:

«إنّ الدافع الأول الذي وجّه النبي وحركته كان مبنيًّا على المسيحية واليهودية. [...] فلم يكن النبي محمد مؤسّسًا لطائفة دينية جديدة بقدرِ ما كان ملهَمًا صاحبَ رؤية، دشّن حركة دينية تعبدية (نسكية) يمكننا تسميتها، وفقًا للاستخدام الخاصّ بأتباعها، بـ«حركة المؤمنين». ولم تكن هذه الحركة، في أصولها الأولى، دينًا جديدًا، بل كانت جماعة مسكونية (جامعة) لم تضمّ

العرب الذين تحوّلوا حديثًا إلى التوحيد فحسب، بل ضمّت أيضًا مسيحيين ويهودًا. [...] لقد كانت رسالته نداءً صارخًا مدويًّا إلى التوحيد والتقوى»[(١)].

ونجد صدًى لهذا التوحيد "المسكوني" (الجامع) في الآية ٦٩ من سورة المائدة، رُغم أنها سورة متأخرة جدًّا، ولعلها تكون الأخيرة نزولًا:

(٥، ٦٩): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١) نص الاستشهاد الأصلي:

"The primary motivation guiding the Prophet and his movement was built upon Christianity and Judaism. […] The Prophet Muhammad was less the founder of a new religious community than 'an inspired visionary' who 'inaugurated a pietistic religious movement that we can best call, followings its adherent's own usage, the *Believers movement*'. This movement was not in its origins a new religion but instead an ecumenical community, which included not only Arabs newly converted to monotheism but also Christians and Jews. […] His message was a clarion call to monotheism and piety". Fred M. Donner, "*Muhammad and the Believers at the Origins of Islam*", Cambridge, Harvard University Press, 2010.

واقتباساتنا مأخوذة من المراجعة النقدية التي كتبها (فيرنون جيمس شوبل)، والمنشورة في المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية، ٢٨: ٣. وتشير هذه المراجعة إلى أن أفكارًا أخرى وردت في مؤلَّف دونر تظل محل جدل كبير».

[جدير بالنظر أنّ مثل هذه الادّعاءات والقول بأن الإسلام بوصفه ديانة تبلور لاحقًا وأنه في البداية لم يكن كذلك وكان مؤسَّسًا على المسيحية واليهودية، هذه الادعاءات مشكلة جدًّا وغير مقبولة، والقرآن المكي نفسه يعارضها بوضوح]. (قسم الترجمات)

الخاتمة

في البداية، كان هذا المقال مصمّمًا ليكون تدريبًا على التحليل البلاغي الساميّ على سورة صعبة، موجّهًا إلى الطلاب الراغبين في التقدّم في إتقانهم للمنهج. وبمرور الوقت، سلك العمل مسار بحث مستقلّ حول البنية الغامضة لسورة الملك؛ وهي بنية تركت في الواقع أبرز المفسِّرين المحدّثين في حيرة من أمرهم، لا سيما أولئك الذين يمارسون النقد التاريخي للنصّ (مثل: بيل، وبلاشير، ونوينكيرشن، وغيرهم)

وانطلاقًا من تحليل آية تلو أخرى، ثم مجموعات آيات تلو مجموعات آيات، ذات معانٍ متقاربة ومبنيّة وفق توازٍ ترادفيّ أو تقابلي (تضاد)، وصلنا إلى تمثيل المجموعات الكبرى (السلاسل والسلاسل الفرعية) في لوحات، تظهر سلسلة من النظم المحوري، وذلك بفضل الوجود المكثّف للعديد من (العناصر الوصلية) التي تربط المراكز بالوحدات التي تُحيط بها. ولم تتبدَّ المحصلة الدلالية المتماسكة للسورة إلا بعد محاولات وتصويبات عديدة.

وقد أفضت النتيجة النهائية للتحليل إلى بنية إجمالية بسيطة نسبيًّا، تتكوّن من سلسلتَيْن متوازيتَيْن (١- ٢٢ و٢٣- ٣٠)، نُظِّمت كلّ واحدة منهما حول محورها المركزي الخاصّ، وإن كانتَا تتطابقان في المعنى والمضمون (وهو «النذير» ويؤطّر هذا الكلَّ بناءٌ صغير قائم على التوازي المعكوس: (أ ب ج د // د′ ج′ ب′ أ′) (انظر الرسم التوضيحي البيضاوي)، وهو ما يمثّل بصمةَ صنعةٍ كتابية دقيقة في عملية تدوين النصّ القرآني (المصحف).

ويمكن لهذه البنية أن تطوّر تفسيرًا للسورة يظلّ مستترًا في الآيتين الأوليين: الله هو القدير، خالق الموت والحياة. وقد خلق البشر لاختبارهم وابتلائهم في مواجهة اختيار العمل الأحسن: إمّا خيار الإيمان، المفضي إلى الجنة، وإمّا خيار الكفران، المؤدي إلى السقوط في السعير. ومن أجل إعانة البشر على اختيار المسلك الأفضل، يرسل الله إليهم نذيرًا، يُصغى إليه أو يُعرض عنه.

ويعود أصل هذا العمل إلى مصادر متنوّعة خارجة عن الفضاء القرآني: وهي تحليلات النصوص الكتابية (المقدّسة) وتنظير بلاغتها على يد رولان مينيه (Roland Mynet)، وهو نفسه وريث أعمال كبار علماء الكتاب المقدس الإنجليز في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (مثل: لاوث، وبويس، وجيب). وتتقاطع هذه الأبحاث مع تلك الأكثر حداثة التي أجرتها عالِمَة الأنثروبولوجيا البريطانية (ماري دوغلاس) (Mary Douglas) في كتابها (Thinking in circles) (٢٠٠٧)، مؤكدةً فيه الانتشار الواسع جدًّا للبلاغة الساميّة في قِطاع الشرق الأوسط القديم، بل ومن المرجّح إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

وإذا كان التحليل البلاغي الساميّ لا يزال غير مقبول تمامًا لدى بعض الزملاء الغربيين من المتخصّصين في الدراسات القرآنية، فإنّ هذا يعود إلى تعقيد المنهج والمصطلحات التقنية الخاصّة به، والتي تمثّل سورة الملك نموذجًا بارزًا لها. وكان رولان مينيه ينصح طلابه قائلًا: «على العَجِلين

والـمُتسرّعين الامتناع». ومع ذلك، فإنّ الطالب الأقلّ عجلة والدؤوب سيحظى بمتعة اكتشاف عالم كامل من الفكر وتقنيات الكتابة الخاصّة بالشرق الأوسط القديم، وهي تقنيات غريبة عن التراث البلاغي الإغريقي.

قائمة المراجع

الكتب والمقالات:

- AMIR-MOEZZI, Muhammad Ali & G. Dye, éd., *Le Coran des historiens*, 3 vol., Paris, Cerf, 2019.

- ASAD, Muhammad, *The Message of the Qur'an*, Gibraltar, 1980 (première edition).

- BERQUE, Jacques, *Le Coran*, Albin Michel, Paris, 1995.

- BOISLIVEAU, Anne-Sylvie, *Le Coran par lui-même. Vocabulaire et argumentation du discours coranique autoréférentiel*, Brill, Leiden, 2014.

- BOLLACK, Jean, *La lecture insistante. Autour de Jean Bollack*, Albin Michel, Paris, 2011.

- CUYPERS, Michel, *Guide pratique pour l'analyse du Coran. L'exemple de la sourate LXIX*, "L'Inévitable" », repris dans *MIDEO* (Mélanges de l'Institut Dominicain d'Études Orientales), le Caire, 2024, 68 pages. Versions anglaise et arabe disponibles sur https://ideo-cairo.academia.edu/MichelCuypers

- *La composition du Coran, Naẓm al-Qur'ān,* coll. Rhétorique sémitique, Gabalda, 2012.

– في نظم القرآن، ترجمة: عدنان المقراني وطارق منزو، دار المشرق، ٢٠١٨، ٢٥٠ صفحة.

- *Le Festin, Une lecture de la sourate al-Mâ'ida*, Lethielleux-Peeters, 2005, Appendice, pp. 399-407.

– في نظم سورة المائدة، ميشيل كويبرس، ترجمة: عمرو عبد العاطي صالح، دار المشرق، ٢٠١٤.

- *Quranic Syntax*, dans *The Oxford Handbook of Qur'anic Studies*, Mustaf Shah and Muhammad Abdel Haleem, ed., Oxford University Press, 2020.

- *Pour une exégèse contextuelle du Coran*, dans *Islamochristiana* 33, Rome, 2007, pages 23-49.

- DICTIONNAIRE ARABE FRANÇAIS, dir. Daniel Reig, Larousse, Paris,1983.

- DONNER, Fred, *Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam*, Harvard University Press, 2010.

- DOUGLAS, Mary, *Thinking in Circles. An Essay on Ring Composition*, Yale University Press, New Haven & London, 2007.

- FARRIN, Raymond, *Structure and Qur'anic Interpretation. A Study of symmetry and coherence in Islam's Holy Text*, White Cloud Press, Ashland, Oregon, 2014.

- ḤAWWĀ, Sa'īd, *Al-Asās fī' l-tafsīr,* Dār al-Salām, 1991.

- سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، ١٩٩١.

- LUND, Nils Wilhelm**,** *Chiasmus in the New Testament*, 1942 (date de première publication); The University of North Carolina Press, 2013 (reprint).

- MEYNET, Roland, *Traité de rhétorique biblique*, Gabalda, Pendé, France, 2013.

- NEUENKIRCHEN, Paul, *Sourate 67, al-Mulk (La Royauté*), dans Md. Ali Amir-Moezzi & G. Dye, *Le Coran des historiens*, 3 vol., Paris, Cerf, 2019, t. 4.

- PAGOLA, José Antonio *Jésus. Approche historique*, Cerf, Paris, 2012.

- REYNOLDS, Gabriel Said, *The Qurān and Its Biblical Subtext*,Routledge, London and New York, 2010

فهرس الموضوعات

مقدمة ٩
الدراسة ٦
عرض ملخص للمنهج ١٤
مسرد المصطلحات الفنية ٢١
تقديم سورة الملك ٢٧
بنية السورة ٣٣
قضايا مفردات اللغة ٥٥
بنية جملة السورة ٩١
الخاتمة ١٠٨
قائمة المراجع ١١١